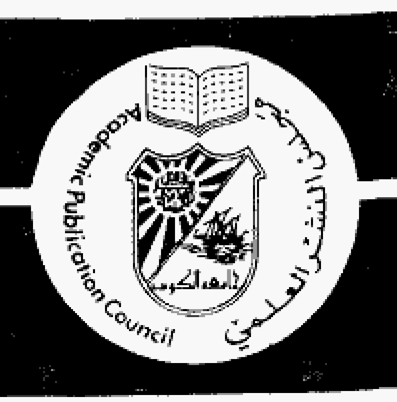
حوليات كلية الآداب



تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الحدود البيزنطية الإسلامية ونظيماتها الثغرية

(٤٠ - ٣٣٩هـ / ٦٦٠ - ٩٥٠م)

٧١

الحولية الحادية عشرة

١٤١٠ / ١٤١١هـ

حوليات كلية الآداب

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت



دورية علمية محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل في مجالات اهتمام الأقسام العلمية لكلية الآداب

الحولية الحادية عشرة
الرسالة الحادية والسبعون
١٤١٠هـ/١٩٩٠م

الرسالة الحادية والسبعون

الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية

(٤٠ - ٣٣٩هـ / ٦٦٠ - ٩٥٠م)

د. عبدالرحمن محمد العبدالغني
قسم التاريخ - جامعة الكويت

حوليات كلية الآداب - الحولية الحادية عشرة - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

المؤلف

- د. عبدالرحمن محمد العبد الغني.
- مدرس تاريخ العصور الوسطى بجامعة الكويت.
- دكتوراه في التاريخ من جامعة الإسكندرية عام ١٩٨٣م (بمرتبة الشرف الاولى).

- **الإنتاج العلمي**

الكتب

- أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (٣٣ - ٤٥٧هـ / ٦٥٣ - ١٠٦٤م).

- **المقالات:**

- «فوتيوس والقطيعة الدينية بين كنيستي روما والقسطنطينية في القرن التاسع الميلادي»، عالم الفكر، المجلد ١٩٨.

محتوى البحث

- ملخص البحث ٩
- أهمية الحدود الطبيعية الفاصلة بين المسلمين والبيزنطيين ١٢
- استراتيجية الأمويين العسكرية ضد الدولة البيزنطية ١٣
- سياسة العباسيين الحربية ضد البيزنطيين ١٦
- أثر الحملات والإغارات الإسلامية على أقاليم الحدود البيزنطية ١٧
- ردود الفعل البيزنطي على هجوم المسلمين ٢٠
- تكوين نظام الثيمات البيزنطية ٢٤
- نشأة الثغور الإسلامية وتطورها ٣١
- الدور الاقتصادي لمنطقة الثغور الإسلامية في العهد الأموي ٤٠
- سياسة توطين وتعمير منطقة الثغور في العهد العباسي ٤٢
- اهتمام الخلفاء وكبار القادة ورؤوس الأسر بالنشاط الحربي في منطقة الثغور ٤٦
- رواتب الجند في منطقة الثغور ٤٨
- الإغارات والحملات الإسلامية في منطقة الثغور ٥١
- حياة السكان المسلمين والبيزنطيين في منطقة الثغور ٥٧
- الخاتمة ٥٨
- قائمة المصادر والمراجع ٦٠

قائمة مختصرات المصادر والمراجع الأجنبية

AIEO	Annales des l'nstitut d'Etudes Orientales.
B	Byzantion.
BCH	Bulletin de Correspondance Hellenigue.
BS	Byzantionoslavica.
DOP	Dumbarton Oaks Papers.
EB	Études byzantines.
EHR	English Historical Review.
H	Historia
HC	L'Hellénisme Contemporian
JHS	Journal of Hellenic Studies.
JOB	Jahrbuch der O'sterreichischen Byzantinistik.
RH	Revue Historique.

ملخص

يتناول هذا البحث طبيعة العلاقات الإسلامية البيزنطية في منطقة الثغور في خلال العصرين الأموي والعباسي الأول. ولقد لعبت طبيعة المنطقة الحدودية الفاصلة بين العالمين المتجاورين المتناقضين دورا مهما في طبيعة العلاقات بينهما، واستراتيجية كل منهما العسكرية تجاه الطرف الآخر.

لا شك في أن التجاور بين القوتين أدى إلى حتمية وقوع الصدام بينهما. وقد دفعت استراتيجية المسلمين الهجومية في القرنين الأول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين) بيزنطة لاتخاذ استراتيجية دفاعية لعجزها عن مجاراة المسلمين عسكريا. وكان جوهر هذه الاستراتيجة إعادة توزيع الفرق البيزنطية النظامية التي كانت تعمل في ولايات الشرق. مما قاد إلى نشأة نظام الثيمات الذي أدى دورا فعالا في التصدي للإغارات والحملات الإسلامية بأنواعها. وكان عجز الأمويين في الاستيلاء على القسطنطينية، وتطور فاعلية النظم البيزنطية الدفاعية أدى إلى نمو هذه الثيمات، وزيادة أهميتها وفاعلينها في حماية الحدود البيزنطية في مواجهة الإغارات الإسلامية.

وكان لنقل عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد أثر في تغيير سياسة المسلمين الهجومية تجاه البيزنطيين، مما نتج عنه نشأة نشأة مدن الثغور الإسلامية التي قامت بالإضافة إلى دورها الدفاعي، بدور اقتصادي فعال نشطت التجارة على أثره بين المسلمين والبيزنطيين مما زاد في أهمية هذه المدن، وجعلها تحوز على اهتمام الخلفاء والشخصيات البارزة من الأسر الشامية وغيرها في مختلف أنحاء الدولة الإسلامية، والتي حرصت على إعادة تعمير ما يتعرض منها للتدمير على أيدي البيزنطيين، بل وإقامة مدن جديدة، وكذلك إلى تشجيع المثاغرة والجهاد في تلك المدن، ومنح حوافز للجند المشتركين في الإغارات والحملات في منطقة الثغور.

وكانت هناك إغارات وحملات صغرى وكبرى يخرج على رأسها الخلفاء أو من ينوب عنهم لأهميتها. وكان الهدف منها بالإضافة إلى الجهاد وهو هدف سام بحد ذاته، ويحقق للخليفة مكانة سامية في نظر رعيته، أهدافاً سياسية أخرى.

هذا وقد حرص الباحث على إعطاء المامة سريعة عن حياة السكان المسلمين والبيزنطيين في منطقة الثغور، وإن كان هذا الموضوع بحاجة إلى المزيد من الدراسات الأثرية كما نخرج بصورة واضحة عن طبيعة الحياة في المنطقة الواقعة على جانبي الحدود الإسلامية البيزنطية.

مقدمـة

اتخذت العلاقات الإسلامية البيزنطية طابعا عدائيا منذ أن بدأت المرحلة العالمية في تاريخ الدعوة إلى الإسلام. ذلك أن التوسع في الشام ومصر وبلاد المغرب تم على أنقاض النفوذ البيزنطي في تلك الأصقاع. وبديهي أن تطمح السياسة الإسلامية إلى إسقاط الدولة البيزنطية لتئول إلى المصير نفسه الذي آلت اليه الإمبراطورية الساسانية.

وبديهي أيضا أن تخطط بيزنطة سياستها إزاء المسلمين على أساس استرداد ما فقدته من ولايات ثرية.

وبناء على ذلك كان الصدام والصراع بين الطرفين لامندوحة عنه. وقد اتخذ هذا الصدام أطوارا متصلة من الصراع العسكري البري والبحري، فضلا عن الصراع السياسي والدبلوماسي وبالإضافة إلى التنافس الاقتصادي. ولطالما تبادل الطرفان الانتصارات والهزائم في هذا الصراع الطويل الذي أسفر عن نتائج بعيدة المدى في تاريخ كل من الجانبين.

لن نخوض طويلا في استعراض مراحل هذا الصراع وما نجم عنه من نتائج، فذلك أمر استوفى حقه من الدراسة سواء عند القدماء أو الحديثين.

وما يعنينا هو تبيان ما أسفر عن الصراع البري من آثار تتعلق بالتنظيم الثغري في مناطق الحدود، سواء في الجانب البيزنطي أو في الجانب الإسلامي.

ومعلوم أن الطبيعة قد حددت مناطق الحدود تلك، إذ كمنت في سلاسل جبال طوروس Taurus التي شكلت سدا يفصل بين عالمين متباينين عَقَدِيًّا وعرقيا وحضاريا. وتمتد مناطق التخوم تلك في اتجاه متعرج من إقليم بنطس Pontus المطل على البحر الأسود حتى إقليم قيليقية جنوب شرقي آسيا الصغرى. وهي توازي أعالي الشام، وبلاد الجزيرة في أعالي العراق، وكلها مناطق تشكل ميدانا للصراع البري بين الطرفين منذ أقدم الخليفة عثمان بن عفان على فتح أرمينية Armenia. وهذا يعني أن سلاسل جبال طوروس لم تشكل حماية طبيعية تامة للطرفين، الأمر الذي استوجب حرص كل منهما على إنشاء سلاسل من الحصون

العسكرية شُحنت بالجند والعتاد والسلاح لحماية الحدود بشكل دائم[1]. ومهمة هذا البحث هو رصد هذه الظاهرة وما ترتب عليها من نتائج إدارية وعسكرية وعمرانية.

أهمية الحدود الطبيعية الفاصلة بين المسلمين والبيزنطيين:

لقد حرص المسلمون منذ البداية على تأمين فتوحاتهم في بلاد الشام، ولهذا اتجهوا لفتح الجزيرة العربية وأرمينية بعد فتح الشام لأن الهجمات البيزنطية المضادة جاءت من القواعد البيزنطية في تلك الأنحاء. كذلك أعطى فتح الجزيرة وأرمينية الدولة العربية الناشئة حدودا طبيعية مناسبة، فقد أصبحت جبال طوروس وطوروس الداخلية تحدها من الجانب الشمالي الغربي، فضلا عن أرمينية ذات الطبيعة الجبلية وموقعها الحاجز من ناحية أخرى[2].

ومن الواضح أن هذه الفتوح أعطت المسلمين وضعا استراتيجيا متميزا ومناطق ارتكاز استطاعوا منها الهجوم على آسيا الصغرى عبر دروب جبال طوروس وطوروس الداخلية. والحقيقة أن وصولهم إلى السفوح الجنوبية الشرقية لجبال طوروس جعلهم يواجهون إقليماً جغرافيا ذا طبيعة تميزت بشدة البرودة ووعورة الدروب والممرات. وهي طبيعة لم يألفوها من قبل وان كانوا قد اعتادوها منذئذ.

---

(١) يرى فتحي عثمان أن الصراع بين الروم والأمويين أدى إلى اتجاه الأخيرين لإحكام تحصينات الحدود وإقامة معاقل على طول الطرق الحربية وفي المواقع الحساسة، فنتج عن هذا نظام دفاغي دائم.. وجاء العباسيون فساروا على الخطة نفسها مع التوسع فيها. انظر:

الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري (القاهرة، ١٩٦٦)، جـ١، ص ٣٧٦، وانظر:

كي لوسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بيروت، ١٩٨٥)، ص ١٦٠، عليه عبدالسميع الجنزوري: الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ١١ - ١٥. عن وصف خط الحدود في العهد العباسي.

شاكر مصطفى: دولة بني العباس، ط ١ (الكويت ١٩٧٣) جـ٢، ص ٣٢٧.

(٢) فتحي عثمان: الحدود، جـ١، ص ٢٥٩. وللمزيد عن موقع أرمينية كدولة حاجزة بين قوتين كبيرتين. انظر:

عبدالرحمن محمد العبدالغني: أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ٦٥٣ - ١٠٦٤هـ، / ٣٣ - ٤٥٧م، (الكويت، ١٩٨٩)، ص ٢٦ - ٢٧.

وبقيام الدولة الأموية سنة ٤١هـ / ٦٦٠م أخذت تتضح دوافع المسلمين في قتال البيزنطيين في آسيا الصغرى وهي تأمين الحدود ومحاولة التوسع داخل آسيا الصغرى بهدف إسقاط القسطنطينية إن أمكن. وبالفعل عبروا الممرات الجبلية في جبال طوروس وطوروس الداخلية لتدمير القواعد والتحصينات البيزنطية، ثم أخذت هذه الإغارات تتطور تدريجيا إلى حملات عسكرية واسعة النطاق طفقت تجتاح أقاليم آسيا الصغرى.

ويمكن القول: إن الفترة من عام ٤٠هـ / ٦٦٠م وحتى نهاية حصار القسطنطينية الشهير على يد مسلمة بن عبدالملك عام ٩٨هـ / ٧١٧م شهدت تصاعد الضغط الذي تعرضت له الدولة البيزنطية حتى أوشكت على الانهيار، وذلك باستثناء فترة قصيرة واقعة بين عامي ٦١ ـ ٧٤هـ / ٦٨٠ ـ ٦٩٣م تلك التي شهدت فيها الدولة الأموية اضطرابات داخلية[٣].

استراتيجية الأمويين الحربية ضد البيزنطيين : ـ

وبعد عام ٧٤هـ / ٦٩٣م، حدث تغيير في الاستراتيجية الأموية. ذلك أن الحملات الضخمة التي توغلت في عمق آسيا الصغرى في عهد معاوية بن ابي سفيان لم تعد على غرار الحملات المألوفة التي اعتاد الأمويون شنها على آسيا الصغرى، اذ أخذت بعد عام ٧٤هـ / ٦٩٣م تتركز بكثافة في أقاليم الحدود وبالتحديد في منطقتي

(٣) تمثلت هذه الاضطرابات في المنافسة على الحكم بين أفراد البيت الأموي بعد وفاة معاوية الثاني، إذ اصبح كل منهم يطمح إلى الخلافة، ويرى نفسه أحق بها من غيره، فضلا عن ثورة عبدالله بن الزبير. انظر :

الدنيوري : الأخبار الطوال (القاهرة، ١٩٥٩)، ص ٦٢ ـ ٢٧٠، ٣٠٩، ٣١٥، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي (بيروت، ١٩٦٠) جـ ٢، ص ٢٥١ ـ ٢٥٣، ٢٦٠ ـ ٢٦٨، يوليوس فلهوزن : تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام الى نهاية الدولة العربية ـ ترجمة : محمد عبدالهادي أبو ريدة، وحسين مؤنس (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ١٨٠ وما بعدها، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية، (القاهرة، ١٩٧٩)، ص ١٠٩، ١١٩، حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني الثقافي والاجتماعي (القاهرة، ١٩٧٩)، جـ ١، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٧، محمد ضياء الدين الريس : عبدالملك بن مروان والدولة الأموية (القاهرة، ١٩٦٩)، ص ٢٤ ـ ٦٥.

قليقية Cilicia وأرمينية الرابعة[4]. ويبدو أن الأمويين استهدفوا في هذه المرحلة غاية واحدة هي إضعاف المقاومة البيزنطية تدريجيا بضرب دفاعات الثغور البيزنطية، وضم بعض الأقاليم الشرقية التي أخلاها البيزنطيون إلى دار الإسلام، ثم فتح الطريق من أجل الاستيلاء على القسطنطينية[5]. واستهدف هذه الغاية كل من عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ / ٦٨٤ - ٧٠٥م)، وابنه الوليد بن عبدالملك (٨٦ - ٩٦هـ / ٧٠٥ - ٧١٤م). ويبدو أن تلك الجهود كانت إرهاصاً لحملة كبرى استهدفت من جديد الاستيلاء على القسطنطينية وهي الحملة التي أرسلها سليمان بن عبدالملك (٩٦ - ٩٩هـ / ٧١٥ - ٧١٧م) وقادها أخوه مسلمة، سنة ٩٨ هـ / ٧١٧م. ورغم الإعداد الجيد لتلك الحملة برا وبحرا إلا أنها فشلت في الاستيلاء على العاصمة البيزنطية رغم حصارها قرابة العام[6] ولا شك في أن نجاح البيزنطيين

---

(٤) قسم بعض المؤرخين والجغرافيين المسلمين أرمينية الى أربعة أقسام هي :

١ - أرمينية الأولى وتتكون من : السيسجان، وآران، وتفليس، وبرذعة والبيلقان، وشروان.
٢ - أرمينية الثانية : جرزان، وصغدبيل، وباب فيروز، وقباذ، واللكز.
٣ - أرمينية الثالثة : البسفرجان، ودبيل، وسراج طير، وبغرند، والنشوى.
٤ - أرمينية الرابعة : شمشاط، وخلاط، وقاليقالا، وأرجيش، وباجنيس، انظر :

البلاذري : فتوح البلدان (بيروت، ١٩٧٨)، ص ١٩٧، ابن خرداذبه : كتاب المسالك والممالك (ليدن، ١٨٨٩)، ص ١٢٢. وهناك من لا يقسمها مثل أبي الفرج قدامة بن جعفر، لكنه يذكر الأسماء نفسها التي ذكرها ابن خرداذبه، انظر قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة (بغداد، ١٩٨١)، ص ٣١٦.

(٥) Lilie, R. Die Byzantinische Reak auf die Ausberei tung der Araber (Munchen, 1976), PP. 133 - 139.

وانظر :

السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط (الاسكندرية، ١٩٨٣) ص ٢١.

(٦) ويرجع بعض المؤرخين فشل حملة مسلمه الى مناعة العاصمة البيزنطية، والى النيران الإغريقية التي استخدمها البيزنطيون ضد الأسطول الإسلامي وإلى عوامل أخرى، انظر :

Ostrogorsiky, G., History of the Byzantine State, tr. J. Hussey (Oxford, 1968) pp. 156 - 157. =

في الصمود أمام حصار مسلمة بن عبدالملك سنة ٧١٧م أتاح الفرصة لتنظيم دفاعاتهم في آسيا الصغرى، مما أدى إلى اقتصادر العمليات العسكرية الإسلامية التي اعقبت هذا الحصار الفاشل للقسطنطينية على مناطق الحدود التي أخذت تشهد قيام شكل من أشكال توازن القوى.

ولم يقتصر الأمر في تلك المرحلة على الإغارات الأموية المتصلة على مناطق الحدود، بل شهد أيضا ردود فعل عسكرية بيزنطية ذات طبيعة عسكرية محدودة(٧). ويلاحظ أنه قبل عام ٩٨هـ / ٧١٧م لم تلق الجيوش الأموية المهاجمة ـ إلا في القليل النادر ـ أية هزائم على يد البيزنطيين، ولكن الصورة تغيرت لفترة قصيرة بين عامي ١٠٢ ـ ١٢٣هـ / ٧٢٠ ـ ٧٤٠م إذ لقيت عددا من الهزائم(٨). ويشير هذا التطور إلى أن دفاعات بيزنطة في غربي آسيا الصغرى والبحر المتوسط تدعمت بشكل كبير حتى إن الإغارات الأموية غدت توجه بشكل يكاد يكون كاملا ضد مناطق الحدود

= وانظر :

فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة : كمال اليازجي (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٥٠ ـ ٥١، حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة، ١٩٨٣) ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(٧) Lilie, Die Byzantinische, P. 162

(٨) تعرض المسلمون للهزيمة على يد البيزنطيين بعد فشلهم في حصار القسطنطينية الشهير سنة ٩٨ ـ ٩٩ هـ / ٧١٧ ـ ٧١٨م، في معركة أكروينون Akroinon سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م (آفيوم قره حصار)، كما تعرضوا إلى عدة هزائم على يد البيزنطيين قبل هزيمتهم في المعركة المذكورة؛ إلا أن تلك الهزائم لم تكن لها نتائج استراتيجية مهمة تؤثر على موقف كل من البيزنطيين والمسلمين كما كان الحال عقب معركة أكرونيون.

للمزيد انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك (القاهرة، ١٩٦٧)، جـ ٧، ص ٨٨، ابن الأثير : الكامل في التاريخ (بيروت، ١٩٦٧)، جـ ٤، ص ٢١٤ وما بعدها وانظر :

فتحي عثمان : الحدود، جـ، ص ١٠٢، أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (بيروت، ١٩٥٦)، جـ، ص ١٨٩، لويس : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠م)، ترجمة أحمد محمد عيسى (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ١٠٧ ـ ١٠٨، وسام عبدالعزيز فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي (الإسكندرية، ١٩٨١، ص ٢٣).

الشرقية للدولة البيزنطية والأقاليم المتاخمة لها مثل قبدوقية Cappadocia وايسوريا Isauria وقليقية Cilicia.

سياسة العباسيين الحربية ضد البيزنطيين :

لقد ورث العباسيون في جملة ما ورثوه عن الأمويين الجهاد التقليدي ضد بيزنطة، ولكن صراع العباسيين مع البيزنطين اتخذ طابعا دينيا دفاعيا. فكان هدفهم الثاغرة والجهاد، في حين كان الأمويون يتطلعون إلى قهر القسطنطينية والسيطرة على البحر المتوسط[٩]. لذلك كانت سياسة الخلافة العباسية إزاء بيزنطة سياسة دفاعية بالدرجة الأولى ويتضح ذلك من قيام خلفاء بني العباس برسم سياسة حربية جديدة تجاه بيزنطة اختلفت عن سياسة بني أمية[١٠]، استهدفت إحاطة حدود دولتهم بسلسلة من القلاع والتحصينات لحمايتها ضد الخزر والبيزنطيين على حد سواء. وهي السياسة ذاتها التي اتبعوها في تخومهم في التركستان وشبه القارة الهندية.

ويمكن تفسير ذلك في ضوء الحقيقة القائلة بأن العاصمة تحكم التوجه السياسي والعسكري للدولة. وفي حال الصراع الإسلامي البيزنطي كان لانتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد أثره في توجيه النشاط العسكري للدولة العباسية وإعادة ترتيب الأولويات.

وهكذا لم تتطور الأوضاع في مناطق الحدود في القرن الثامن الميلادي (القرن الثاني الهجري) حتى الربع الأول من القرن العاشر الميلادي (الربع الأول من القرن الرابع الهجري)، إذ منذ ذلك الحين جدت صحوة بيزنطية جعلتها تتحول من الدفاع إلى الهجوم، ولا شك في أن هذا الوضع الجديد يعبر عن شكل من أشكال

---

(٩) السيد عبدالعزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب (٣) العصر العباسي الأول (الإسكندرية، ١٩٧٧) جـ٣، ص ٢١٤، عبدالعزيز الدوري : العصر العباسي الأول (بغداد، ١٩٤٥)، ص ٩١.

(١٠) فتحي عثمان : الحدود، جـ٢، ص ١٣٣. وللمزيد عن أثر انتقال الخلافة من دمشق إلى بغداد على سياسة المسلمين الحربية تجاه البيزنطيين انظر :

ابراهيم أحمد العدوي : الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم (القاهرة، ١٩٥١)، ص ٦٥ - ٦٦، شاكر مصطفى : دولة بني العباس، جـ١، ص ٣٣٠ - ٣٣١، ٣٦٥ - ٣٦٧.

القوى بين الخلافة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية في تلك المرحلة من مراحل العصور الوسطى.

حقيقة أنه قد وقعت حروب ومعارك كبرى خلال فترة توازن القوى هذه، ولكنها لم تكن حروبا حاسمة أو فاصلة بالمعنى المفهوم، مثال ذلك الحملات العسكرية المتبادلة التي وقعت بين المأمون ومن بعده أخيه المعتصم من ناحية، وبين الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل Theophil (٨٢١ - ٨٢٩/ ٢٠٦/٢١٤هـ) من ناحية أخرى. ولكن تلك الحروب كما ذكرنا منذ قليل كانت محدودة الأهداف، في حين استمر الصراع الحقيقي بين العباسيين والبيزنطيين في مناطق الحدود، وقامت به العناصر المحلية من الطرفين، مما جعله يمثل صراعا بين أمراء مناطق الحدود أكثر منه صراعا بين السلطتين المركزيتين في كل من الدولة البيزنطية والخلافة العباسية[١١].

ويمكن القول، إن الحروب بين البيزنطيين والعباسيين لم تتجاوز كثيرا احتلال القلاع على ممرات جبال طوروس وطوروس الداخلية، أو معاودة احتلالها اثر تخلي العدو عنها بين حين وآخر. يستثنى من ذلك الحالات القليلة التي انتهت الى تدمير بعض المدن الهامة، مثلما حدث أثناء حملة المعتصم على عمورية Amorium ويلاحظ أن تسجيل هذه العمليات الحربية التي كانت تجرى على وتيرة واحدة يختلف بشكل أو بآخر في المصادر العربية عنه في المصادر البيزنطية التي مرت عليها مرورا سريعا، وأغفلت بعضها إغفالاً تاما. ويلاحظ كذلك أن المراجع العربية بالغت في تصوير هذه الانتصارات وأضفت عليها طابعا روائيا على الرغم من كونها ردود أفعال لانتصارات بيزنطية سابقة ليس الا[١٢].

اثر الحملات والإغارات الإسلامية على أقاليم الحدود البيزنطية :

وقبل أن ننتقل الى عملية تنظيم دفاعات الحدود لدى كل من البيزنطيين والمسلمين وجب أن نبين أثر الحملات والإغارات الإسلامية على أقاليم الدولة

---

(١١) بالنسبة للنشاط العسكري بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادي انظر : فازيلييف (أ . أ) : العرب والروم، ترجمة : محمد عبدالهادي شعيره (القاهرة، بدون تاريخ)، ص ٢١٨ - ٢٢٥ .

(١٢) فتحي عثمان : الحدود، جـ٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٩ .

البيزنطية في آسيا الصغرى، وما ترتب عليها من اضمحلال المدن وتدهور العمران، وانعكاس هذا كله على تنظيم دفاعات الحدود البيزنطية إداريا وعسكريا.

لقد تمكن المسلمون من عبور الممرات الجبلية الى أقاليم آسيا الصغرى منذ منتصف القرن السابع الميلادي (أواسط القرن الأول الهجري) وكانت الجيوش البيزنطية آنذاك عاجزة عن مواجهة الضغط العسكري الإسلامي حيث اجتاح المسلمون الأقاليم البيزنطية من كل الاتجاهات. ولم تجد محاولات بيزنطة في وقف ذلك المد العسكري رغم لجوئها إلى تدعيم بعض القلاع والحصون الاستراتيجية القوية في جبال طوروس مما اضطرها إلى الاهتمام بحصونها وقلاعها في عمق آسيا الصغرى، حيث قامت بتحويل بعض المدن إلى مراكز عسكرية. وقد ترتب على هذه الخطوة إعادة بناء دفاعات الإمبراطورية في أقاليم آسيا الصغرى. لذلك تحولت مدن مثل مليتوس[(١٣)] Miletus وأنقرة Ancyra وبرجامة Pergamum وسرديس Sardis، وأكروينون Acroinon وغيرها إلى مدن عسكرية مغلقة قوية التحصينات شبيهة بالحصون التي أنشئت في أوروبا الغربية بعد ذلك، وهذا ما أفقدها طابعها الهيلنستي[(١٤)].

والاتجاه الخاص بنقل المراكز الإدارية إلى أماكن حصينة بعيدة عن مواقع المدن التي يسهل الوصول اليها، كان أمرا فرضته الظروف على الإدارة الإمبراطورية بسبب إغارات المسلمين المستمرة وما أسفرت عنه من القضاء على الأمن والأمان[(١٥)].

إن الانطباع الذي نخرج به يشير إلى وجود مجتمع ريفي شامل به العديد من القلاع والقرى والقليل من المدن بالمعنى الدقيق للكلمة. ولقد أكد ابن حوقل وجهة النظر هذه عندما قال: «والمدن النفيسة (عظيمة الأهمية) قليلة في مملكتهم وبلادهم

(١٣) مليتوس Miletus: وهي مدينة تقع في جنوب غربي آسيا الصغرى. انظر: حسين مؤنس وآخرون: أطلس تاريخ الإسلام (القاهرة، ١٩٨٧)، ص ١٥٠.

(١٤) Kirsten, E., «Die byzantinische Stadt», Berichte Zum XI Intrenationalen Byzantinisten - Kongress (Munchen, 1958), PP. 20, 28 f.; Foss, C., «Late Antique and Byzantine Ankera», **DOP,** 31 (1977), PP. 29 - 67, 74 - 75.

(١٥) للمزيد عن الإغارات الإسلامية وطبيعتها في منطقة الحدود، انظر: فازيلييف: العرب والروم، ص ٨٦، ٩١ وما بعدها.

مع سعة رقعتها واتصال أيامها وحالها، وذلك أن جلها جبال وقلاع وحصون ومطامير وقرى، في الجبال منحوتة وتحت الأرض منقوبة»[١٦].

فالصورة التي يرسمها ابن حوقل هذه لا تعطي انطباعا بأن الدولة البيزنطية كانت مليئة بالمدن المزدهرة، مما يبين أن ابن حوقل كان صائبا في بيان حالة الاضمحلال التي أصابت المدن في أقاليم آسيا الصغرى. والصورة التي أوردها هي صورة اقليم يتكون من قلاع منعزلة وقرى متناثرة. ولا شك في أن هذه الصورة هي صورة واقعية لأقاليم الحدود البيزنطية. أما إشارته إلى القرى المقامة في الكهوف فيبدو أنه كان يقصد بها المجتمعات القروية في قبدوقية.

كذلك أشار الطبري إلى أنقرة وعمورية خلال أحداث ٢٢٣هـ / ٨٣٧م قائلا: «لم يكن هناك شيء مما يقصد من بلاد الروم أعظم من هاتين المدينتين»[١٧]. وهناك احتمال أن الطبري كان يعني أن هاتين المدينتين كانتا أكبر حصنين أو قلعتين، لأن الأبحاث الأثرية تبين أن أنقرة كانت في ذلك الوقت قلعة جيدة التحصين ولم تكن مدينة بالمعنى المتعارف عليه سياسيا واقتصاديا. كذلك ذكر الطبري في إشارته إلى حملة عام ٢١٦ هـ / ٨٣١م على قبدوقية أن أبا اسحق أخا الخليفة المأمون استولى على ثلاثين قلعة ومطمورة[١٨]. وفي دراسة حديثة قام بها هيلد Hild لنظام الطرق في إقليم قبدوقية يتضح وجود العديد من هذه القلاع التي كانت عبارة عن قلاع وحصون منتشرة على الطرق المؤدية إلى قلب الإمبراطورية البيزنطية[١٩].

---

(١٦) كتاب صورة الأرض (بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٨١.

(١٧) الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٩، ص ٥٨.

(١٨) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٦٢٥. والمطمورة هنا تعني صوامع غلال تحت الأرض انظر:

الفيروز آبادي: القاموس المحيط (بيروت، بدون تاريخ)، جـ ٢، ص ٨١ فصل الطاء والراء، بالنسبة للشواهد الأثرية على ملاحظات الطبري.

انظر:

Foos, Late Antique, P.78

وعن أبي اسحق بن المأمون. انظر.

فازيلييف: العرب والروم، ص ١١٢ - ١١٣.

(١٩) Hild, F., Das Byzantinesche strassensystem in Kappadakien, (Wien, 1977), P.46.

وهكذا يمكن القول، إن جزءا كبيرا من آسيا الصغرى سادته أحوال مشابهة، إذ كان عبارة عن أقاليم تتكون من القرى والقلاع والقليل من المدن التي كانت مزدهرة قبل القرن السابع الميلادي ثم اضمحلت إلى مستوى القلاع، وأصبحت ملاجئ استقرت فيها الإدارة والسكان المحليون في وقت الخطر. هذا فضلا عن بعض المدن المضمحلة أو الخربة التي تم اخلاؤها أو هجرها قاطنوها إلى أماكن أخرى اكثر أمنا ودفاعا(٢٠).

رد الفعل البيزنطي على هجوم المسلمين :

وإذا كنا قد تحدثنا عن الإغارات الإسلامية على آسيا الصغرى وطبيعتها وأثرها على الحياة المدنية والعمرانية البيزنطية، فعلينا أن ننتقل للحديث عن رد الفعل البيزنطي على هذا الهجوم الإسلامي المنظم، وطبيعة التنظيم الدفاعي الذي نهضت به الإدارة البيزنطية لمواجهة هذا الخطر الإسلامي. فلقد ترتب على انتصار المسلمين في معركة اليرموك ١٥هـ / ٦٣٦ - ٦٣٧م خروج بلاد الشام من دائرة الدولة البيزنطية، إذ أصدر الامبراطور هرقل Heraclius (٦١٠ - ٦٤١م) أوامره بإخلاء الشام، وترتب على الهجوم الإسلامي على أرمينية انسحاب الجيوش البيزنطية منها إلى آسيا الصغرى. ويبدو أن بيزنطة لم يكن أمامها سوى العمل على إعادة تنظيم خطوط دفاع جديدة لها في آسيا الصغرى لحماية هذا الأقليم الحيوي الذي تبقى لها بعد ضياع ولاياتها الأخرى في بلاد الشام.

وهناك مشكلة تواجه الباحث في هذا المجال هي الكيفية التي توزعت بها الفرق العسكرية الميدانية التي كانت تشكل الجزء الأساسي من الجيش البيزنطي الذي كان موجودا في الشرق.

والمشكلة في أغلب الأحوال لها شقان : الشق الأول : هو متى تم إعادة تنظيم هذه الفرق العسكرية الميدانية القديمة التي كانت تشكل القوة العسكرية للإمبراطورية البيزنطية في الشام وأرمينية قبل ظهور المسلمين، والتي أمر هرقل بانسحابها إلى آسيا الصغرى؟ ثم كيف تم توزيعها في شكل حاميات دفاعية استقرت

(٢٠) Ahrwiler, H., «L'sie Mineure et les invensions arabes», **RH**, 227 (1962), P. 32

في أقاليم آسيا الصغرى لتتولى مسؤولية الدفاع عنها؟ وهل تم هذا في أواخر عهد الإمبراطور هرقل أو قبل ذلك؟ أو في عهد قنسطانز الثاني، أو تم بعد ذلك؟

أما الشق الثاني : فهو : كيف تطورت هذه الحاميات الدفاعية في كل إقليم استقرت فيه؟ وكيف أنيطت بها مهام إدارية إلى جانب مهامها العسكرية حتى ظهر لنا ذلك النظام المعروف بالثيمات Themes؟

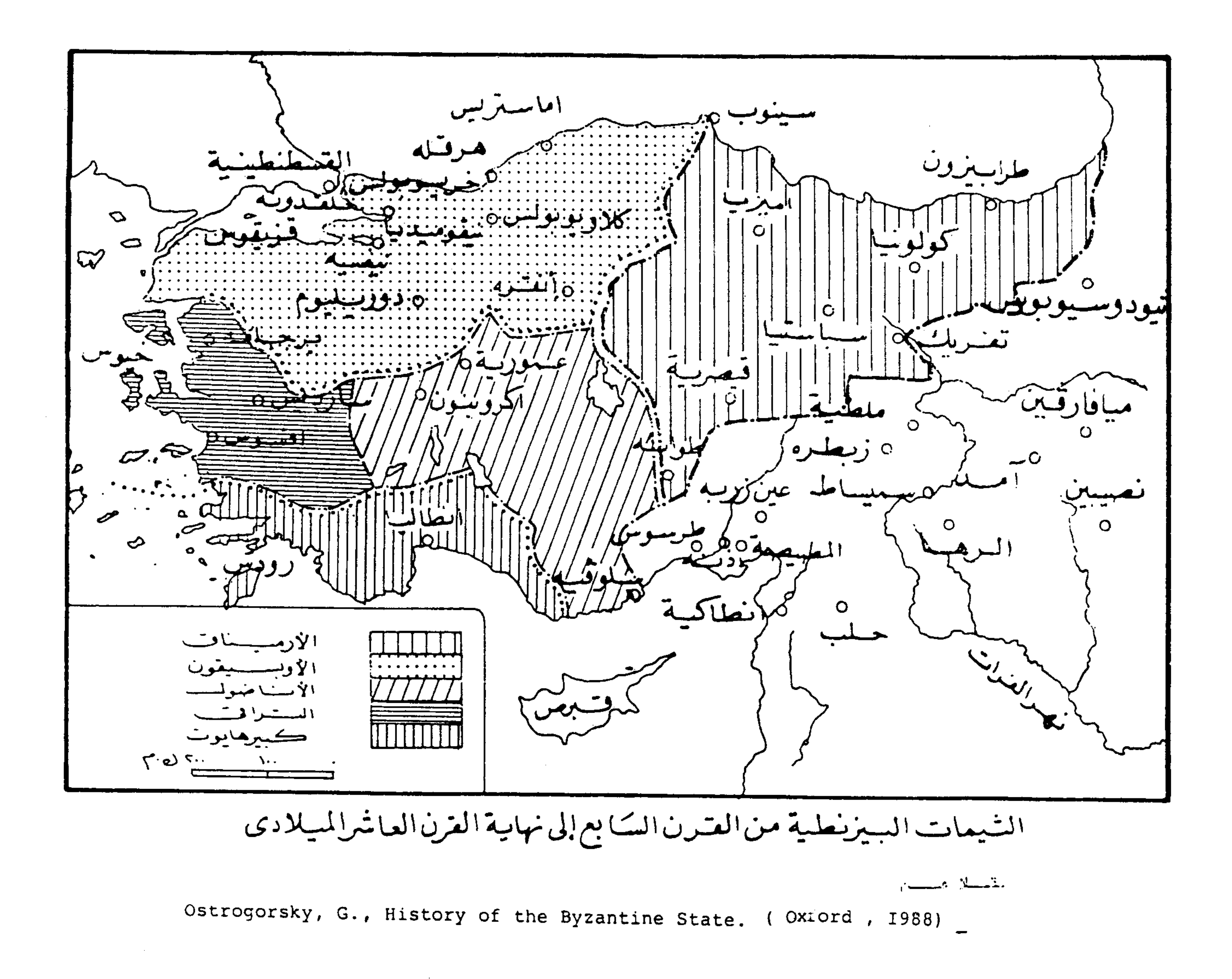
بالنسبة للشق الأول لا يوجد دليل على قيام الإمبراطور هرقل بتوزيع هذه الفرق العسكرية التي انسحبت من الشام إلى حاميات دفاعية قبل وفاته في شهر فبراير سنة ٦٤١م / ذي القعدة سنة ٢٠هـ، فبعض المصادر تشير إلى أنه طوال عهد قنسطانز الثاني احتفظت هذه الفرق العسكرية التي كانت تتبع قيادة الجيش البيزنطي المرابط في الشرق Magister Militum per Orientum بدورها الأساسي كقوات ميدانية هجومية، ولم تتحول إلى وحدات دفاعية، ولم تنقسم إلى حاميات.

والمرجح أن هذه الفرق العسكرية اشتركت أكثر من مرة في الهجمات المضادة التي قامت بها بيزنطة ضد المسلمين في الشام طوال الفترات الممتدة من ٦٣٧ - ٦٥٩م / ١٦ - ٣٩هـ[٢١]. وبعد هذا التاريخ غدت هذه الفرق تشكل الجزء الأساسي من القوات التي صاحبت الإمبراطور قنسطانز الثاني في حملته الشهيرة على صقلية سنة ٦٦٢م /٤٢هـ[٢٢].

وفي الوقت الذي لا يوجد فيه دليل على أن الفرق العسكرية البيزنطية التي كانت مرابطة في الشرق قامت بأي مهام دفاعية ثابتة في آسيا الصغرى بمجرد انسحابها إلى هناك طوال عهد الإمبراطور قنسطانز الثاني، فإننا نجد أن الأعمال التي سجلتها بعض المصادر عن الفرق العسكرية البيزنطية المرابطة في أرمينية تؤدي بنا إلى

(٢١) John of Nikiu, The Chronicle of John (C. 690 A.D) Coptic Bishop of Nikiu, tr. R. H. Charles (Lonon, 1916); P.199, Theophanes, Chronographia, I, P. 343; Mandandian, H., «Les invasions Arabes en Arménie» (Notes Chronologiques)», tr. Beberian, BA 18 (1944 - 1948), PP. 177 - 183.

(٢٢) Theophanes, Chronographia, ed. C. De Boor (Leipzing, 1883 - 1885), (22) 1,PP. 351 - 352; Liber, Pontificalis, ed. L. Duchesne (Paris, 1886), Vol. 1, P. 346, Kaestner, J., De Imperio Constantini II (641 - 668) (Leipzing, 1907), P. 87 note I.



الثيمات البيزنطية من القرن السابع إلى نهاية القرن العاشر الميلادى

نقلا عن :
Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State. (Oxford , 1988) _

نتيجة مختلفة. فهذه الفرق التي كانت تتبع قيادة الجيش المرابط في أرمينية Magister Militum Armenian كان دورها في الفترة من عام ٦٢٨ إلى ٦٣٧م/ ٧ ـ ١٦هـ هو حماية أقاليم أرمينية التي ضمتها بيزنطة عقب انتصار هرقل على الفرس سنة ٦٢٨م / ٧هـ. كذلك اشتركت هذه الفرق خلال عهدي هرقل، وقنسطانز الثاني في بعض الهجمات المضادة على المسلمين في الجزيرة وشمال الشام وأرمينية[٢٣]. ولكننا نجد بعد الفتح الإسلامي لأرمينية وعبور المسلمين جبال طوروس وتوغلهم في قلب آسيا الصغرى، اضطرت هذه الفرق التي كانت مرابطة في أرمينية إلى الانسحاب غربا، واتباع أسلوب دفاعي وإقليمي ولهذا تفرقت على أقاليم شرق آسيا الصغرى وغرب أرمينية، واتخذت مواقع دفاعية في تلك الأقاليم. كذلك يتضح من المصادر أن هذه الفرق التي عرفت باسم الأرميناق Armeniakoi اخذت تتمتع بقدر متزايد من الاستقلال في تصريف أمورها عن العاصمة البيزنطية خلال عهد الإمبراطور قنسطانز الثاني[٢٤].

وعلى هذا فمن المرجح أن قائد فرق الأرمنياق ـ على خلاف قائد فرق الأناضول ـ قد جمع في يده بين السلطتين العسكرية والإدارية للإقليم الجغرافي الذي كانت ترابط فيه قواته منذ وقت مبكر.

وبالنسبة للفرق العسكرية التي كانت مرابطة في إقليم تراقيه Thrace الأوربي. فمن الواضح أنها اشتركت في القتال ضد المسلمين في آسيا الصغرى بعد

(٢٣) Theophanes, Chronographia, I, PP. 345 - 347, Sebeos, Histoire d'Heraclius, tr. F. Macler (Paris, 1904), PP. 108 - 110, 130 - 131, 145 - 148; Manandian, H., «Les Inasions Arabes en Arménie», (Notes Chronologiques), tr. H. Berberian, **BA**, 18 (1944 - 1948), PP. 178 - 179, 183 - 190; cheira, M., La Lutte enter Arabes et Byzance : La conquête et L'organisation des frontièes aux VIII^{e} et VII Siecles (Alexandria, 1947), PP. 104 - 106.

(٢٤) من مظاهر تمتع هذه الفرق العسكرية بقدر من الاستقلال، رفض قائد فرق الارميناق Armeniac قتال المسلمين عندما عبروا جبال طوروس عام ٤١هـ / ٦٦١م. وتفضيله تجديد الهدنة معهم في المنطقة المكلف بالدفاع عنها. انظر :

Brooks, E.W., «The Campaign of 719 - 718, From Arabic Sources», JHS, 19 (1899), p. 184.

استدعائها من القسم الأوربي من الإمبراطورية. ورابطت هذه الفرق في أكثر من إقليم من أقاليم آسيا الصغرى التي تعرضت لهجوم المسلمين. واستمرت إشارات بعض المصادر لهذه الفرق التراقية حتى سنة ٦٥٠م / ٣٠هـ[٢٥] ولا نعلم على وجه الدقة ما إذا كانت تلك الفرق ظلت على حالها أم تحولت إلى جيش كامل.

على أية حال، يمكن القول ـ إن الفرق العسكرية البيزنطية ـ التي كانت متمركزة في الشرق، وتلك التي كانت مرابطة في أرمينية، والتي انسحبت من الشام وأرمينية إلى آسيا الصغرى نتيجة لحركة الفتوح الإسلامية ـ لم تفقد طابعها كجيوش نظامية ميدانية بين يوم وليلة، وإن كانت قد فقدت عددا كبيرا من رجالها.

ومهما يكن من أمر، فقد حرصت الإدارة البيزنطية في البداية على إعادة تشكيل ما كان يعرف بجيش الشرق ليكون قوة متحركة في أي اتجاه تقرره الإدارة البيزنطية. أما الفرق التي كانت مرابطة في أرمينية فقد قامت بدور دفاعي منذ البداية، اذ تحملت العبء الأكبر في التصدي للحملات الإسلامية التي خرجت لفتح اقليم الجزيرة وأرمينية وتلك التي أغارت على أقاليم آسيا الصغرى.

تكوين نظام الثيمات البيزنطية :

وسرعان ما أدت الحملات الإسلامية الكبرى التي اخترقت آسيا الصغرى طولا وعرضا إلى قطع خطوط التموين والمواصلات في آسيا الصغرى عن العاصمة البيزنطية، وعندما أدركت الإدارة البيزنطية أبعاد هذا الموقف، لم يكن أمامها سوى أن تعيد توزيع فرقها العسكرية المنسحبة على أقاليم آسيا الصغرى، وأن تدخل إصلاحا جذريا على إدارة الأقاليم هناك لتحقيق أفضل سبل الدفاع عنها. وهكذا تفرقت الفرق البيزنطية التي كانت تشكل الجيش البيزنطي المرابط في أرمينية في مناطق شرق وشمال شرقي آسيا الصغرى، في حين تفرقت الفرق التي كانت تكون جيش الشرق في مناطق وسط آسيا الصغرى. أما الفرق التي جاءت من إقليم تراقية الأوروبي فقد تفرقت في القسم الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى، ولقد كانت مسؤولية هذه الفرق العسكرية دفاعية أصلا، لذلك اتخذت من الحصون والقلاع

(٢٥) Sebeos, Historie d'Heraclius, PP. 108 - 110, 130 - 131; Manandian, Les Invasions, PP. 183 - 190.

والمدن المسورة قواعد لها. واضطرت إلى الاعتماد على الإمكانات المحلية في كل منطقة. وبالتدريج بدأ قادتها يتحملون مسؤولية الإدارة المدنية إلى جانب مسؤولياتهم العسكرية. وهذا التطور كان نواة النظام الإداري العسكري الذي أخذ يتبلور بالتدريج والذي عرف بنظام الثيمات وكلمة ثيم Theme تعني في الأصل قسم من الجند أو فرقة من الجيش، وهي تقابل في المصادر العربية تعبير «جند» - «بند» ثم اطلقت هذه الكلمة فيما بعد على المنطقة العسكرية في التنظيم الإداري العسكري الجديد(٢٦).

ويلاحظ إن الغموض الذي يحيط بتطور استعمال كلمة ثيم كان نتيجة للالتباس الخاص بأصل وتطور الثيمات، ولكن يجب أن نوضح أن تنظيم الفرق العسكرية وتوزيعها جغرافيا وإنشاء تنظيم إداري جديد للأقاليم تتوحد فيه السلطات العسكرية والمدنية حدث أخذ يتبلور ويتطور، ولم يتوقف على كلمة ثيم أو استعمالها، وأن التطور الذي حدث في استعمال كلمة ثيم كان نتيجة للتغيرات التي حدثت بالفعل في تنظيم الحكومة لإدارة الأقاليم(٢٧).

ومما يجدر ذكره في هذا المقام، أن كلمة ثيم لم تظهر في المصادر البيزنطية الخاصة بعهد الإمبراطور قنسطانز الثاني. ولكن بعد وفاة هذا الإمبراطور بعام أي في سنة ٦٦٩ - ٦٧٠م / ٤٩هـ وردت إشارات لها في المصادر البيزنطية بمعنى «فرق

---

(٢٦) عن الثيمات وأصل كلمة Theme انظر :

Constantine Porphrogenio, De Administrando Imperio, ed, Gy. Morravcsik, trans,. R.J.H. Jenkins (Washington, D.C., 1967), p.60

وانظر :

المسعودي : التنبيه والإشراف (ليدن، ١٨٩٣م)، ص ١٦٦، وسام عبدالعزيز فرج : دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية في ١٩٨٢) ص ١٩٩ - ٢٠٢، وهامش ص ١٠٠ و١٠١، وانظر كذلك :

Géraed. W., La Vie quotidienne à Byzance (Paris, 1966), 267 - 268; Dolger, F., «Zur Abletitung des byzantinischen Verwaltusterminis Øz, «Historia IV (1955), pp. 189 - 198.

(٢٧) Diehl, C., «L'origine du régime des théms dans L'empire byzantin», **EB, I** (Paris, 1905), p.279.

الجند» عند وصف الفرق العسكرية الخاصة بجيش الشرق (الأناضول)[٢٨].

وكما سبقت الإشارة، كانت الفرق التي تتبع قيادة جيش الشرق Mageister Militum Per Orientem تعرف أحياناً بفرق الشرق وباليونانية Anatolkoi ومنها جاءت كلمة فرق الأناضول. كذلك كانت الفرق البيزنطية المرابطة على الحدود الأرمينية منذ الربع الثاني من القرن السابع الميلادي قد اتخذت لنفسها اسم فرق الأرميناق Armeniakoi[٢٩]. ورغم أن فرق الأرميناق كان لها بعض خصائص نظام الثيمات الذي تطور بعد ذلك، إلا أن المصادر لا تشير اليها بشكل مباشر كاقليم إداري عسكري ـ أي كثيم ـ طوال القرن السابع الميلادي. وإن أول إشارة اليها كثيم حدثت في سنة ٧٤٢ ـ ٧٤٣م / ١٢٦هـ. ولكن هذا لا يتناقض مع حقيقة : أن قادة فرق الأرميناق مارسوا السلطة العسكرية في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري).

إن العنصر الأساسي لنظام الثيمات كان توزيع الجند على مناطق في آسيا الصغري، ولهذا السبب اصبحت المناطق العسكرية الجديدة تسمى «ثيمات» وهو تطور في استعمال كلمة ثيم، التي كانت تعنى أصلا فرق عسكرية من الجنود النظاميين ليصبح معناها المنطقة أو الاقليم الذي استقرت فيه هذه الفرق العسكرية.

وقد اختلف بعض المؤرخين حول التحديد الدقيق لبداية ظهور هذا التنظيم الإداري العسكري الذى أدخلته الحكومة البيزنطية في آسيا الصغرى، فهناك من يقول : إنه يرجع إلى أواخر القرن السادس الميلادي وخلال القرن السابع للميلاد عندما اصبحت بيزنطة مرتعا للفوضى، مما استلزم البحث عن تنظيم جديد لها. وكان الإمبراطور جستنيان الأول Justinian I (٥٢٥ ـ ٥٦٥م) هو أول من فكر في تعيين ولاة يجمعون في قبضتهم السلطتين المدنية والعسكرية، وكان هذا يتم بالنسبة

---

(٢٨) Theophanes, Chronographia, I. pp. 300, 303 f.

(٢٩) Ibid., I, P. 325

للمقاطعات المعرضة لخطر الحرب أو الغزو[٣٠].

ونجد فريقا آخر يعارض ذلك الرأي، ويرى أن هذا النظام أخذ يظهر تدريجيا في النصف الثاني من القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)، ثم أخذت ملامحه تتضح في مطلع القرن الثامن الميلادي (بداية القرن الثاني الهجري)[٣١].

ويرى فريق آخر أن جذور نظام الثيمات بدأت في فترة مبكرة يصعب تحديدها بدقة، أو نسبتها إلى إمبراطور بعينه. ولكنها سرعان ما تطورت كنظام إداري عسكري استجابة لظروف خاصة تعرضت لها آسيا الصغرى بسبب التهديد الإسلامي المستمر[٣٢]. هذا، ولا يزال الاختلاف قائما بين العلماء بخصوص التحديد الدقيق لبداية ظهور هذا النظام.

والجدير بالذكر، أن نواة التنظيم العسكري في كل ثيم كانت الفصيلة (باندون) Bandon التي تعتبر الوحدة الأساسية في التنظيم العسكري، وكان يتولى

---

(٣٠) يأتي على رأس هذه المجموعة من المؤرخين أوستروجورسكي. انظر:
Ostrogorsky, Byzantine State, P. 97

وتقبل وجهة النظر هذه عدد من المؤرخين مثل:
Jenkins, R., Byzantium : The Imperial Centureies A.D., 610 - 1071 (London and New York, 1966), pp. 22 - 23.

(٣١) اما الفريق المعارض لوجهة النظر السابقة والذي يرجع نشأة نظام الثيمات إلى نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلاديين فيأتي على رأسه برتوسي. انظر:
Pertusi, A., «La Formation ds thèmes byzantins,» Berichte Zum XI. Internationalen Buzantinisten - Kongress Munche 1958 (Munich, 1958) (Beitrag I), PP. 1 - 40.

(٣٢) للمزيد عن نظام الثيمات. انظر:
Karayannopulos, J., «Contribution au probléme des thémes byzantins», HC, Series 2, Vol. 10 (1956), Ostrogorsky, Byzantine State, PP. 74 - 87 ff; Baynes, N.H., Byzantine Studies and other esseys (London, 1960), PP. 62 - 63.

وانظر: هارثمان (د. م) وباراكلاف (ج): «الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى»، ترجمة: جوزيف نسيم يوسف (الاسكندرية، ١٩٨٤)، ص ٩٨ - ٩٩، حسنين ربيع: دراسات، ص ٧٤ - ٧٧.

قيادة هذه الفصيلة قائد يحمل لقب كوميس Komes[٣٣]. وكانت كل مجموعة من الفصائل (ما بين فصيلتين إلى ثماني فصائل) تشكل كتيبة عسكرية تعرف باسم Torma يتولى قيادتها قائد كتيبة يعرف باسم تورماخ Tormarch أو (طرماخ) كما تطلق عليه المصادر العربية[٣٤].

ويبدو أن قائد الكتيبة كان شخصية أساسية في إدارة الثيم. فكل ثيم يتكون من عدد من الكتائب وكان قائد الثيم يسمى استراتيجوس Strategos[٣٥]. ومع أن قائد الكتيبة كان مرؤوساً للاستراتيجوس إلا أنه تمتع مثله بالسلطة المدنية فضلا عن العسكرية في كل الأمور التي كان لها علاقة بالجند الذين يخضعون لقيادته. ولنا بطبيعة الحال أن نتخيل ان قائد الكتيبة كان يمارس سلطانه هذا على جنده في المنطقة المخصصة له داخل اطار الثيم ويتضح من أحد مصادر القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) أن قائد الكتيبة طرماخ Tormarch كان ضابطا له أهميته في هيئة الضباط العاملين تحت قيادة Kleisourach أو تحت قيادة الاستراتيجوس Stratigos. فقد كان مسئولا عن توفير الأمن للسكان المحليين بإنذارهم عن قرب وصول المسلمين، كما كان مسئولا بالاشتراك مع جند فرقته عن مراقبة القوات المغيرة وشغلها حتى يتمكن قائد الثيم من تجميع بقية كتائبه[٣٦].

وبالإضافة إلى الوحدات الإدارية العسكرية الكبيرة المعروفة بالثيمات،

---

(٣٣) Constantine Porphrogenitus, De Adminstrando, II, Commentary, P. 189

وانظر إشارة المسعودي في التنبيه والإشراف إلى الأقاليم البيزنطية باسم «بنود» أي فصائل، ص ١٦٦.

(٣٤) ابن حوقل : صورة الأرض (بيروت، ١٩٧٩)، ص ١٧٨، ابن الفقيه : كتاب البلدان (ليدن، ١٨٨٤)، ص ١٤٧، قدامة بن جعفر : الخراج، ص ١٨٩.

(٣٥) فمثلا في سنة ٩١١م كان ثيم سباستيا Sebastia به خمسة من قادة الكتائب Tourmarchs، وثمانية من قادة الفصائل Kometes، والمعروف أن سباستيا كانت كليزورا Kleisoura قبل سنة ٩٠٨م. ثم تحولت إلى ثيم بعد ذلك. للمزيد عن هذه التنظيمات العسكرية. انظر :

Ahrweiler, H., «Recherches sur L'administrarion de l'mpire byzantin au IXe - XIe Siècles», **BCH,** 84 (1960, PP. 267 - 268).

(٣٦) De vel. Bell. De Velitatione Bellica, in : Leoins Diaconi, Historiae, ed. Hase (Bonn, 1828), P. 196. 200. 227.

كانت هناك وحدات إدارية عسكرية أصغر تسمى كليزورات Kleisourarchia يتولى قيادة كل وحدة منها قائد يسمى Kleisourarch ويبدو أن هذه الكليزورات تمثلت في الوحدات الإدارية العسكرية المتاخمة للحدود. وكان قائد الكليزورا له سلطات وصلاحيات قائد الكتيبة نفسها لأن معظم قادة الكليزوات كانوا قبل ذلك قادة كتائب ثم انفصلوا عن سلطة الاستراتيجوس في الثيم الذي كانوا ينتمون اليه أصلا(٣٧).

لقد كانت أقاليم الحدود البيزنطية مقسمة إلى منطقة عسكرية بدأت تندمج فيها السلطة العسكرية المدنية. وكانت هذه المناطق قائمة بذاتها من الناحية الإدارية. ويتضح من كتاب الإمبراطور قنسطنطين السابع Constantin VII (٩١٩ - ٩٤٤م / ٣٠٧ - ٣٣٣هـ) عن الإدارة البيزنطية : عدد من الحالات التي انتقلت فيها الكتائب Touami من ثيم إلى آخر، والفصائل من إحدى الكتائب أو أحد الثيمات إلى كتيبة أخرى أو ثيم آخر(٣٨).

وكان تجنيد الجند في الثيمات يتم غالبا في كل وحدة إدارية عسكرية على مستوى كل فصيلة Bandon وإذا استبعدنا الضباط العسكريين الدائمين العاملين تحت إمرة الاستراتيجوس، وقادة الكليزورا وهم قادة الكتائب «الطراخنة» Tormarchs وقادة الفصائل Komtes وبقية الضباط التابعين لهم، فإن غالبية الجند تستدعى فقط حين الشروع في حملة معينة، أو عند التعرض لقرب هجوم من جانب المسلمين، والمرجح أن عدد الجند النظاميين العاملين في كل ثيم على مدار العام كان قليلا(٣٩). أما بقية جند كل ثيم فقد كانوا متفرقين في نواحي الإقليم. وكما

(٣٧) للمزيد عن الكليزورات وقادتها. انظر :

Ahrweiler, Recherches, PP. 81 - 82

والجدير بالذكر، أن خرشنة كانت في الأصل كتيبة Tourma تابعة لثيم الأرميناياق ثم أصبحت كليزورا مستقلة سنة ٧٩٣ / ٧٩٤م. وفي سنة ٨٧٣م تحولت إلى ثيم. انظر :

Honigmann, E., Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches Von 363 bis 1071 AD (Bruxelles, 1935), PP. 45 - 51.

(٣٨) Constantine Porphyrogenitus, De Administrando, P. 50.

(٣٩) Constantine Porphyrogenitus, De Cerimoniis Aulae Byzantinae, ed. I. Reiske (Bonn, 1829 - 1830), P. 663.

يتضح من أحد المصادر البيزنطية كان الأمر يحتاج إلى بعض الوقت لجمعهم وتعبئتهم[٤٠]. وكان الجند النظاميون العاملون في مجال الاستخبارات في مناطق الحدود من أجل الحصول على المعلومات يتقاضون رواتب منتظمة[٤١].

وكان نظام التجنيد نفسه يقوم على أساس الخدمة العسكرية التقليدية من قبل الفرد الذي يتمتع بملكية خاصة لقطعة أرض زراعية وهو نظام تطور خلال القرن السابع الميلادي (الأول الهجري)[٤٢].

على أية حال، يمكن القول إن نظام الثيمات استطاع أن يوفر خطا دفاعيا لحماية أقاليم آسيا الصغرى من المسلمين والتصدي لكل محاولة من قبلهم لتحقيق أي وجود عسكري لهم في آسيا الصغرى. وكان من نتائج ذلك أن قل النشاط العسكري الإسلامي المتوغل إلى وسط وغربي آسيا الصغرى. لقد تركزت جهود بيزنطة في تكوين منطقة حاجزة تتكون من مساحة من الأرض غير مأهولة بالسكان يفصل بين ممتلكاتها وحدود دار الإسلام، لذلك حرص البيزنطيون على تدمير حصونهم الواقعة في هذه المنطقة بدلا من وضع حاميات لهم فيها. وقد استهدفت سياسة قسطنطين الخامس Constantine V (٧٤٠ - ٧٧٥م/ ١٢٣ - ١٥٩هـ) الخاصة بتهجير السكان من منطقة الحدود التي تريد أن تجعلها بيزنطة حاجزا بينها وبين المسلمين، إفقار مناطق حدود الإمبراطورية الجنوبية الشرقية من السكان، لخلق منطقة حياد بهدف توفير جو من الأمان لبقية مناطق آسيا الصغرى[٤٣].

---

(٤٠) De Vl. Bell., De Velitatione Bellica, P. 215.

(٤١) Ibid., p. 188.

(٤٢) Ahrwiler, Recherches, pp. 70 - 73.

(٤٣) يلاحظ أن هذه السياسة بدأت في اثناء انسحاب البيزنطيين من قليقية زمن هرقل. انظر:
Michel le Syrien, Chronique de Michel le Syrien, ed. J.B. Chabot (Paris, 1899 - 1905), II, p.424.

وانظر:
البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٨.
وانظر كذلك:
Lile, De Byzantitische, p, 161.

كذلك لجأت بيزنطة بعد عجز جيوشها النظامية عن مواجهة الإغارات الاسلامية العديدة التي هاجمت حدودها إلى تدعيم بعض الحصون والقلاع الاستراتيجية داخل حدودها على الطرق الرئيسية التي تمر إلى عمق آسيا الصغرى. وبدأت في هذه المرحلة، كما ذكرنا، تقلص المدن البيزنطية وتحولها إلى مراكز عسكرية.

ويتضح من هذا أن استراتيجية بيزنطة الدفاعية لم تقم على أساس مواجهة المسلمين عسكريا وردهم بالقوة بل أصبحت تقوم على أساس تجنب الصدام المباشر، ونظام الإنذار المبكر. فقد صار واجب القوات البيزنطية الأساسي هو القيام بإنذار سكان مناطق الحدود البيزنطية بقرب هجوم المسلمين كي يتمكنوا من تأمين أنفسهم وماشيتهم وممتلكاتهم في أماكن أخرى وملاجئ آمنة فوق التلال وداخل الحصون والقلاع[٤٤]. ثم بعد ذلك تستخدم هذه القوات أسلوب حرب العصابات ضد المهاجمين.

نشأة الثغور الإسلامية وتطورها :

وعلى أية حال، إذا كان البيزنطيون قد بذلوا هذا الجهد التنظيمي الكبير من أجل احتواء خطر المسلمين، فإن الأخيرين ردوا على ذلك بتطوير نظام عسكري دقيق في مناطق حدودهم المتاخمة للبيزنطيين. وعرف هذا النظام بنظام الثغور. بدأت نشأة هذا النظام في بدايات العصر الأموي، لكنه تطور على نطاق واسع في الخمسين سنة الأولى من الحكم العباسي، أي في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي (النصف الثاني من القرن الثاني الهجري) ومع نهاية عهد الخليفة هارون الرشيد الذي توفى في سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م كان هذا النظام العسكري قد اكتمل، واستمر هذا النظام فعالا في أداء دوره الهجومي والدفاعي حتى عصر الصحوة

---

(٤٤) Theophones, Chronographia, 1, PP. 363, 452; Halden, J.F., «Some remarks on the background to the Iconclast Contrsvrsy», **BS,** 38 (1977), p. 171f.

والجدير بالذكر أن هذه الصورة تظهر واضحة في المصادر العربية أكثر منها في المصادر البيزنطية. انظر :

البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٨٩ - ١٩٦.

البيزنطية الذي بدأ في الربع الثاني من القرن العاشر الميلادي (الربع الثاني من القرن الرابع الهجري).

ولقد أطلق المسلمون على تحصيناتهم المتاخمة للحدود البيزنطية اسم الثغور، وقسمت المصادر العربية منطقة الثغور إلى قسمين رئيسيين هما: الثغور الشامية إلى الغرب في سهل قيليقية، والثغور الجزرية في الإقليم الجبلي الواقع إلى الشرق من الثغور الشامية(٤٥) وكانت الإمارات الأرمينية التي شكلت دويلات حاجزة بين المسلمين والبيزنطيين تقع إلى الشمال الشرقي من الثغور الجزرية.

وكانت الثغور الجزرية تعمل غالبا مع ثغور الشام كقاعدة للحملات المشتركة على آسيا الصغرى. على أن معاوية بن أبي سفيان حفظ لكل جبهة شيئا من التخصص. فمهمة الثغور الجزرية هي حماية الحدود الإسلامية، بينما كانت مهمة الثغور الشامية الإسلامية هي الهجوم على الدولة البيزنطية ذاتها(٤٦). وربما كان من الأفضل أن نلقي نظرة عن قرب لبعض تلك الثغور قبل أن نبدي عليها بعض الملاحظات.

يشكل سهل قيليقية وحدة جغرافية مميزة، إذ تفصله عن أقاليم الدولة البيزنطية في الشمال سلاسل جبال طوروس، وتفصله عن بلاد المسلمين في شمال الشام جبال أمانوس. وهو سهل خصب وغني، لذلك ازدهر فيه عدد من المدن منذ العصر القديم. وبحكم موقعه تعرض لغزوات الفرس ومن بعدهم المسلمين. وفي البداية فضل الأخيرون الاحتفاظ به كأرض محايدة «No Mans Land»(٤٧).

---

(٤٥) بالنسبة لتقسم مناطق الحدود الإسلامية. انظر:

ابن خرداذبه: كتاب المسالك، ص ٢٥٢ وما بعدها، قدامه بن جعفر: الخراج، ص ١٨٦ - ١٨٧. وبالنسبة للجغرافيا التاريخية هذه المنطقة. انظر.

Ramsay, W.M., The Historical Geography of Asia Minor (London, 1890), pp. 281 ff., pp. 349 - 357

وبالنسبة للمرات جبال طروس، انظر:

Honigmann, Ostgrenze, P. 80f

(٤٦) فتحي عثمان: الحدود، جـ ١، ص ٣٦٦، عليه الجنزوري: الثغور، ص ٢٤.

(٤٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٩ - ١٧١، وانظر:

Honigmann, Ostgrenze, PP. 39 - 40.

واستمر هذا الوضع حتى آواخر العصر الأموي.

وبعد سقوط الدولة الأموية ورث العباسيون مشكلة مواجهة الخطر البيزنطي، وكيفية حماية حدود دولتهم، لقد ذاق العباسيون الأول مرارة هذه المشكلة عندما انتهز الإمبراطور قسطنطين الخامس فرصة انشغالهم بالأحداث التي أعقبت ثورتهم الناجحة، والتمكين لأنفسهم في الحكم، ومواجهة مشاكل المركزية والإقليمية، وأغار على منطقة الحدود آنذاك ودمر تحصينات العباسيين فيها، وكذلك فعل بخط حصون الفرات، ثم الخط الممتد من الفرات إلى البحر، وهدد النظام الثغري كله تهديداً خطيرا(٤٨).

وعلى أية حال، بدأ العباسيون حركة منظمة لتأسيس وإقامة القلاع الثغرية التي تزود بالجند وتشحن بالعتاد. وبالنسبة لمنطقة قيليقية بدأت الجهود الكبرى من أجل ضمها الى الدولة الإسلامية. ولقد كانت هذه الجهود ناجحة لدرجة أن المصادر العربية أشارت - خلال الحرب الأهلية التي أعقبت وفاة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩ - إلى استقرار الأحوال واستتباب الهدوء والسلام فيها. ولقد استقر المسلمون في ثلاث مدن في سهل قيليقية هي المصيصة Mopsouestia وأذنه Adana وطرسوس Tursus، فضلا عن عدد قليل من النواحي التابعة لها(٤٩).

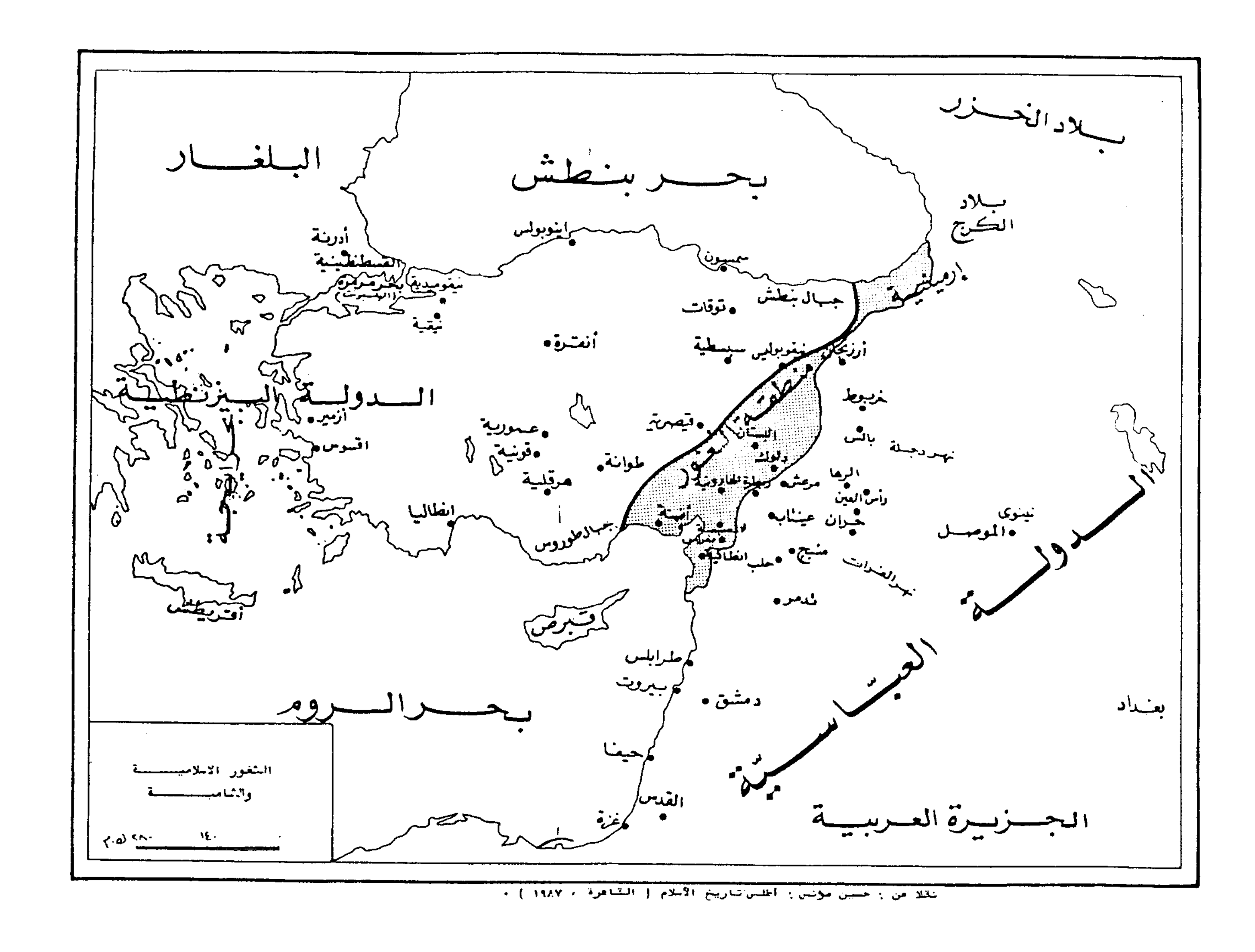
وبسبب موقعها الجغرافي كانت المصيصة هي أولى هذه الثغور التي حصنها المسلمون واستقروا فيها(٥٠). وفي عام ٨٤هـ / ٧٠٣م فتح الأمويون المصيصة. وبنى فيها عبدالله بن عبدالملك بن مروان حصنا أقامه على أساس حصنها القديم، كما أقام فيها مسجدا. ومع نهاية العصر الأموي كان هناك ربض - ضاحية - خارج قلعتها،

---

(٤٨) البلاذري : فتوح البلدان ص ١٧١، ١٩٠ وما بعدها، حسن محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي (القاهرة، ١٩٧٣)، ص ١٥٨.

(٤٩) Michel Le Syrien, Chronoque, 111, p. 26.

(٥٠) والمصيصة هي Mopsouestia (Mamistra) القديمة، وقد اختلف في أول من بناها، وهي مسماة فيما زعم أصحاب السِّيَره باسم من عمرها، وهو المصيصة بن الروم بن اليفر بن سام بن نوح، والمدينة عبارة عن شقين يفصلهما نهر جيحان : المصيصة وكفر بيا. انظر : البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٦٩، اليعقوبي : كتاب البلدان (ليدن، ١٨٩١)، ص ٣٦٣، عليه الجنزوري : الثغور، ص ٦١.



نقلا من : حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام (القاهرة ، ١٩٨٧) .

مما يدل على أن السكان الذين استقروا هناك كانوا أكثر من مجرد حامية منعزلة. وفي عام ١٣٩هـ / ٧٥٦م وقع زلزال أصاب المنطقة بالدمار، مما دفع بإعادة بناء البلدة من جديد، وإعادة توطين السكان فيها. واستمرت المصيصة في الازدهار. ونما فيها مجتمع امتد عبر نهر جيحان. وهناك إشارات إلى وجود خانات خلال عهد المأمون. مما يدل على أنها صارت مركزا تجاريا، فضلا عن كونها مركزا عسكريا(٥١)، ويسميها المهلبي في مصنفة «كتاب المسالك والممالك» بغداد الصغيرة - بسبب موقعها الاستراتيجي على نهر جيجان(٥٢).

ويبدو أن أذنه التي تقع على الضفة الغربية لنهر سيحان قد أعيد بناؤها زمن الخليفة الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ / ٧٤٣م(٥٣). وكانت أذنه أقل أهمية من المصيصة ومن طرسوس. كما كانت أقلها عددا في السكان وأول توطين للسكان المسلمين مسجلة فيها في سنتي ١٤١ - ١٤٢هـ / ٧٥٨ - ٧٥٩م زمن الخليفة المنصور، عندما أعاد بناءها وتحصينها ووضع بها حامية من جند خراسان(٥٤). ويبدو أن المدينة ضربت مرة أخرى، فأعيد بناؤها في سنة ١٦٥هـ / ٧٨١ - ٧٨٢م(٥٥). وتم توطين أعداد كبيرة من المسلمين فيها جلبوا من دمشق والأردن. وفي عهد المأمون لقيت أذنه عناية كبيرة، حيث أعاد الخليفة بناءها وتحصينها، بل واستقر فيها فترة ما بين عامي ٢١٦ - ٢١٧هـ / ٨٣١ - ٨٣٢م(٥٦).

أما ثغر طرسوس فقد كان آخر الثغور الثلاثة التي شيدها المسلمون في سهل

---

(٥١) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧١، اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٣٨٧، عليه الجنزوري : الثغور، ص ٦٢ - ٦٣.

(٥٢) Canard, M. «Quelques Observations Sur L'Introduction gés - graphique de La Buaghyat at - Talab de Kamal ad - din Ibn AL - Adim A'Alep,» **AIEO,** 15 (1957), pp. 41 - 35.

(٥٣) ياقوت : معجم، جـ ١، ص ١٣٢ - ١٣٣، عليه الجنزوري : الثغور، ص ٥٤ - ٥٥.

(٥٤) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٢.

(٥٥) المصدر نفسه، ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٥٦) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٤٤٦، وانظر :
Cambridge Medieval History, part, IV, 2nd. ed (1966), P. 706.
وانظر أيضا :
عليه الجنزوري : الثغور، ص ٥٥.

قليقية. وقد تميزت طرسوس بمكانة مميزة نظرا لأهميتها البالغة ولموقعها الاستراتيجي كثغر إسلامي. وسرعان ما نمت هذه المدينة حتى غدت أكبر وأهم ثغر في الثغور الشامية، إذ اتسعت رقعتها وازدهر عمرانها وأصبحت آهلة بالسكان(٥٧). وقد فتح المسلمون طرسوس في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م على يد جنادة ابن أبي أمية الأزدي(٥٨). ويبدو أنها خربت في أواخر العصر الأموي، وأوائل العصر العباسي. وفي عام ١٦٢هـ / ٧٧٩م مر الحسن بن قحطبة بطرسوس في طريق عودته من إحدى الحملات على آسيا الصغرى. وقام بإنزال جماعة من رجاله فيها. وفي عام ١٧١هـ / ٧٨٧ - ٧٨٨ أمر هارون الرشيد بإعادة بنائها وتحصينها، ووضع حامية مستقرة فيها خوفا من قيام البيزنطيين بالاستيلاء عليها(٥٩). وكانت تلك الحامية تتكون من حوالي أربعة إلى خمسة آلاف رجل، ورغم ذلك ظلت طرسوس معرضة للخطر من جانب البيزنطيين. ففي عام ٨٩هـ / ٨٠٤ - ٨٠٥م سقطت في يد البيزنطيين(٦٠). ولم يطلقوا سراحهم حتى قام الخليفة العباسي بغزو هرقلة Heraclea في العام التالي.

ورغم كل ما تعرضت له هذه المدينة زمن المأمون إلا أنها مع حلول القرن الرابع الهجري (القرن العاشر الميلادي) أصبحت مركزا عسكريا وتجاريا لكل الإقليم المحيط بها(٦١).

---

(٥٧) سميت بطرسوس على اسم طرسوس بن الروم بن الفيز بن سام بن نوح. وهي من أجل الثغور وأعلاها منزلة لدى المسلمين، لأن بها قبور عشرة من الأنبياء، وهي كذلك بالنسبة للمسيحيين حيث بها مسقط رأس القديس بولس. للمزيد عنها انظر: البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٣ - ١٧٤، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦٨، عليه الجنزوري: الثغور، ص ٢٩ - ٣٠، فازيلييف: العرب والروم، ص ٨٩، وانظر:
Aly, Mazhari, Études ISlamiques (Paris, 1975), P. 53

(٥٨) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ص ٢٤٠، عليه الجنزوري: الثغور، ص ٣١.

(٥٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٤.

(٦٠) Michel Le Syrin, Chronique 11, 16.

(٦١) كان سبب تعرض طرسوس إلى الغزوات المستمرة من جانب البيزنطيين هو قربها من ممرات جبال طوروس، الأمر الذي جعل المسلمين يستخدمونها كقاعدة لانطلاق جيوشهم المتوجهة الى عمورية وغيرها من المدن في آسيا الصغرى، كما فعل المعتصم، انظر:
فازيلييف: العرب والروم، ص ٨٩، وللمزيد عن طرسوس. انظر:
Canard, Quelques Observations, pp. 46 - 53.

لقد كانت هناك حصون أخرى في سهل قيليقية مثل عين زربه، والهارونية، والكنيسة السوداء[٦٢]، وجميع تلك الحصون يرجع تاريخ بنائها إلى العصر العباسي الأول ابتداء من عهد هارون الرشيد، لكنها لم تكن أكثر من حصون صغيرة لم تصل أبدا إلى مراكز عامرة بالسكان.

وإلى الشرق من سهل قيلقية غلب على منطقة الحدود الطابع الجبلي، مما جعل بعض الثغور الإسلامية الممتدة في الأودية أكثر عزلة وعرضة للمخاطر مثل مرعش Marash التي كانت تقع عند الطرف الجنوبي لطريق جبلي هام عبر الجبال[٦٣]. وكانت المراعي الخصبة التي هيأتها لها السهول المحيطة بها قد جعلت المنطقة قاعدة طيبة لانطلاق الصوائف منها. ورغم محاولات الأمويين إقامة مجتمع مستقر لهم في مرعش وحولها، إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك، لأن البيزنطيين أحبطوا تلك الجهود باستيلائهم على هذه المدينة خلال فترة الاضطرابات التي صاحبت قيام الدولة العباسية. وفي الفترة الممتدة بين عامي ١٣٧هـ / ٧٥٤م و١٥٢هـ / ٧٦٩م ترك المسلمون حامية لهم في مرعش استطاعت أن تقاوم هجوما بيزنطيا كبيرا عليها في عام ١٦١هـ/ ٧٧٨م[٦٤]. وفي عهد هارون الرشيد زاد عدد سكانها وتم انشاء ربض

---

(٦٢) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٥ ، ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٥٦ .

(٦٣) لقد تأسست مرعش في عهد سلوقس، وعرفت في العصر الروماني باسم Gremanicica، وأطلق عليها الأرمن اسم Nakinuk وقد أعاد معاوية بن أبي سفيان بناءها، كما رممها العباس بن الوليد وأقام بها مسجدا جامعا ثم أعاد بناءها مروان بن محمد سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م واليه ينسب الحصن المرواني، ويبدو أن التخريب قد اصابها، فأعاد الخليفة أبو جعفر المنصور بناءها سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م. انظر :
قدامة بن جعفر : الخراج، ص ١٣٩ ، ياقوت : معجم البلدان (بيروت، بدون تاريخ)، جـ ٥، ص ١٠٧ ، عليه الجنزوري : الثغور، ص ٧٥ ـ ٧٦. هذا ويرى ميخائيل السرياني : أن سكانها الأصليين قد تم نقلهم الى بلاد الشام. انظر :
Michel Le Syriene, Chronoque, 11, 526.
وكذلك انظر :
البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٦٤) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩٣ ، الطبري : تاريخ الامم، جـ٨، ص ١٣٦ ، مسكوية : تجارب الأمم (القاهرة، ١٩١٤)، جـ ٢، ص ٢١٢ ، ياقوت : معجم، جـ ٥، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت، ١٩٦٩)، ص ٢١٩، ٢٢٠، ٥٦٤.

يسمى الهارونية فيها بني خارج القلعة الأصلية التي كان مروان بن محمد (١٢٧ - ١٣٢هـ / ٧٤٤ - ٧٥٠م) قد بناها. وكما جرت العادة، فقد تحدث الإدريسي عن أسواق مرعش وغيرها من مدن الثغور موضحا أن تلك المدن ليست سوى مراكز عسكرية وتجارية في الوقت نفسه[٦٥].

ويقع ثغر الحدث Adata في أعلى الوادي شمال غرب بهنسا، كما ذكره ياقوت الحموي، بالقرب من نهر حديث، وكان حصن الحدث يعتبر من أهم المعاقل الإسلامية على الطريق بين ملطية Melitene ومرعش عبر طرسوس[٦٦]. وبسبب موقعه كان هذا الحصن أقل تعرضا لإغارات البيزنطيين. وقد تم تحصينه واستقر فيه المسلمون في العصر العباسي المبكر، حين وجه الخليفة المهدي قائده الحسن بن قحطبة لإعادة بنائه وتحصينه، فبدأ العمل بتحصينه سنة ١٦١هـ / ٧٧٨م، وانتهت عملية بنائه في عام ١٦٩هـ / ٧٨٥م[٦٧]، وتم وضع حامية من ستة آلاف رجل فيه[٦٨].

أما ملطية فكانت تقع الى الشمال الشرقي وهي من أكبر الثغور الجزرية، وكانت تحمي وادى نهر قباقب. وكان موقعها استراتيجيا، لأنه مفتاح الطريق للجيوش الإسلامية القادمة من الشرق والمتجهة لآسيا الصغرى، كما كانت أيضا مفتاح الطريق للجيوش البيزنطية القادمة من الغرب[٦٩].

(٦٥) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (روما، ١٩٦٥م)، ص ٦٤٤ - ٦٥٢.

(٦٦) ويعرف حص الحدث لدى الأرمن باسم Kenok ولدى لبيزنطيين Adata. للمزيد عن موقع هذا الحصن. انظر:
البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٣ - ١٩٤، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ١٦٦، ياقوت: معجم، جـ٢، ص ٢٢٧ - ٢٢٩، فتحي عثمان: الحدود، جـ١، ص ٢٤١ - ٢٤٢، فازيلييف: العرب والروم، هامش ٣، ص ٨٩.

(٦٧) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٩٤، ياقوت: معجم، جـ٢، ص ٢٢٧.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ١٩٤، فتحي عثمان: الحدود، جـ٢ ص ٢٤٢.

(٦٩) سمى الروم مدينة ملطية «مليتى Melitinee وترجم المسلمون هذا الاسم إلى ملطيه. وكانت ملطية في مستوى من الأرض تحيط بها جبال الروم، وكان ماؤها من عيون وأودية متفرعة من نهر الفرات. ويقال إن بناءها يرجع الى عهد الإسكندر الأكبر، كما كانت معسكراً لأحد فيالق الجيش الروماني قبل عهد الإمبراطور تراجان، للمزيد عنها. انظر: الاصطخري: مسالك الممالك (ليدن، ١٩٢٧)، ص ٤٣ - ٥٣.

وقد قام المسلمون بتأسيس هذا الثغر في أواخر العصر الأموي، الا أن سقوط الدولة الأموية مكن البيزنطيين من استرداده وتدميره بالكامل[٧٠]، ولم يقم البيزنطيون بوضع حامية لهم فيه بعد تدميرهم له، فظل موقعه عبارة عن خرائب حتى جاء الحسن بن قحطبة وأعاد بناء ملطية سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م[٧١]، ويتحدث بعض الجغرافيين المسلمين عن خصوبة المنطقة المحيطة بالثغر، ولكن لا يوجد أي ذكر لنشاط تجاري فيها. وفي تعليق رائع لليعقوبي يصف فيه هذه المدينة بأنها «في مستوى من الأرض يحيط بها جبال الروم، وماؤها من عيون وأودية من الفرات»[٧٢].

لقد كانت ملطية آخر ثغر كبير يقع إلى الشمال الشرقي، كما كان هناك عدد من الحصون الصغيرة التي لا ترقى أبدا إلى مستوى المدن، ومن بين تلك الحصون حصن منصور الذي يقع على الطريق بين معبر الفرات في سميساط Samosata وملطية[٧٣]، وحصن زبطرة Zepetra الذي يقع على الطريق بين ملطية والحدث[٧٤]

أما حصن قلوذية Qalawdhiyah فكان يحرس مداخل ملطية من الشرق[٧٥].

وأخيرا هناك حصن كمخ Kamkh الذي يقع بعيدا على الفرات الأعلى[٧٦].

---

(٧٠) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩٠ ـ ١٩١.

(٧١) شارك متطوعون من شمال الشام والجزيرة في بناء ثغر ملطية على يدي الحسن بن قحطبه. وبعد اكتمال بنائه استقرت فيه حامية من أربعة آلاف رجل انظر :

البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩١، ويذكر اليعقوبي : أن ملطية مدينة عظيمة «فاخر بها الروم فبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة». البلدان، ص ٣٦٢.

(٧٢) اليعقوبي : البلدان، ص ٣٦٢.

(٧٣) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩٦

(٧٤) المصدر نفسه، ص ١٩٥، وانظر :

Michel le Syrien, Chronique, 111, 13.

(٧٥) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩١، ياقوت : معجم، جـ ٤ ص ٣٩٢، ابن الفقيه : كتاب البلدان، ص ١١٤.

(٧٦) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٨٨.

ويلاحظ أن كل هذه التحصينات أعيد بناؤها في عهود العباسيين الأوائل، وكانت بها حاميات من الجند للدفاع عنها. وكان بها أيضا جماعة من الروم والأرمن كما كان الحال بالنسبة لطرسوس[٧٧]. ورغم أننا لا نملك سوى القليل من المعلومات لنوضح كيف قام هذا التنظيم الدفاعي المعقد على حدودهم مع البيزنطيين، إلا أننا نستطيع إبداء بعض الملاحظات المهمة.

كانت هذه الثغور جميعا تقع في السهول الخصبة بجوار الأنهار وروافدها لذلك تحدث بعض الجغرافيين عن ثراء وخصوبة أراضيها، وخاصة ثغور إقليم قيليقية[٧٨]. كما يلاحظ أن المسلمين لم يقوموا بأي جهود حقيقية من أجل السيطرة على التلال والمرتفعات بتلك السهول.

الدور الاقتصادي لمنطقة الثغور الإسلامية في العهد الأموي:

كما تجدر الإشارة إلى أن الوجود الإسلامي كان وجودا حضريا ولم يكن ريفيا بطبعه. فالوحدة الأساسية في الدفاع لم تكن القلعة المعزولة بل كانت المدينة الحصينة. لقد انشئت تلك المدن عن قصد لتخدم الأغراض العسكرية. ولكنها سرعان ما أصبح لها دور اقتصادي، فصارت بمثابة أسواق محلية، ولكن لا يعرف إلى أي مدى خدمت هذه الأسواق التجارة الدولية آنذاك. فالتبادل التجاري بين الدولة البيزنطية ومدن الثغور الإسلامية في تلك الفترة يكتنفه الغموض. فالمصادر المعاصرة لا تمدنا بالكثير عن الموضوع، ولكن هناك من أشار إلى السلع المتبادلة بين الطرفين مثل الجاحظ الذي ذكر أن المسلمين كانوا يستوردون الأواني الذهبية والفضية، والدنانير الذهبية الخالصة، والأعشاب الطبية الرائجة والمنسوجات الموشاة، والخيول

---

(٧٧) ذكر الطرسوسي أن هؤلاء كانوا يقومون بأعمال التجسس لحساب المسلمين، حيث كانوا يرصدون تحركات البيزنطيين ويوصلون للمسلمين أخبارهم خاصة في أوقات الحروب. وفي مقابل ذلك خصص لهم والى طرسوس حصصا محددة من وارد العشر في الزكاة، وكانوا يفضلون أن تكون حصصهم من الشعير على غيره. انظر:
Canard, Quelques Observations, p.48; Aly Mazhari, Étudies Islamiques, p. 63.

(٧٨) الاصطخري: مسالك الممالك، ص ٤٦ ـ ٤٧، ٥٣ ـ ٥٥، ٢٠٤ ـ ٢٠٦، ياقوت: معجم، جـ ١، ص ١٣٢ ـ ١٣٣، جـ ٤، ص ٢٨ ـ ٢٩، جـ ٥، ص ١٤٥.

القوية، والجواري، والأواني النحاسية... الخ[٧٩]. ورغم أهمية ما ذكره بالنسبة للموضوع إلا أنه لا يتضح من القائمة التي أوردها حجم التجارة التي كانت متبادلة ولا الطرق والممرات التي كانت تسلكها عبر بلدان الحدود.

ومما يذكر، أن ميخائيل السرياني Michel Le Syrien أشار إلى أنه بالرغم من وقوع الاحتكاك الحربي بين المسلمين والبيزنطيين في هذه المنطقة، وجدت علاقات تجارية بينها، ويضرب على هذا مثلا، ذلك التبادل التجاري الذي حدث بين الطرفين في أثناء حملة هارون الرشيد[٨٠]. وفي القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) استوردت طرسوس كلاب الصيد والصقور من بيزنطة[٨١]. ويعتقد لمبارد Lambard أن التجارة بين الجانبين كانت ضخمة، ولكن بما أننا لا نملك التواريخ أو الأدلة على ما ذكره، فانه من الصعب تقييم هذا الرأي[٨٢].

وهناك من يعطي أهمية كبيرة لهذه التجارة مثل الأستاذ شعبان، رغم أن الأدلة التي يوردها لاتثبت ذلك[٨٣]. بعكس آشتور Ashtor فهو لا يتحمس كثيرا في حديثه عن التجارة بين البيزنطيين والمسلمين في تلك المنطقة في الفترة الزمنية نفسها[٨٤].

وزبدة القول: إنه لا توجد أدلة قوية على وجود تجارة على نطاق واسع عبر مدن الحدود في هذه الفترة، وحتى تظهر مثل هذه الأدلة فإن علينا أن نتصور أن أسواق مدن وثغور الحدود كانت تتعامل في المنتجات الصناعية لمدينة المصيصة مثل سروج الخيل والمقاعد واللجم والمهاميز والدروع الحربية والفراء المصنع وغيرها[٨٥].

---

(٧٩) الجاحظ: كتاب التبصر بالتجارة (تونس، ١٩٦٦)، ص ٣٤ وما بعدها.

(٨٠) Michel le Syrien, Chronique, 111, P.16

(٨١) Canard, Quelques Observations, pp. 41 - 53

(٨٢) Lombard, M.A., l'Islam dans Sa premiere grandeur (VIII - XI Siècles) (Paris, 1971), pp. 226 - 228.

(٨٣) SHaban, M.A., l'Islamic History, A New Interpretation, Vol. 11 : A.D. 750 - 1055 (A.H. 132 - 448) (Cambridge, 1976), pp. 28 - 29.

(٨٤) A Shtor, E. Asocial and Economic History of the near East in the middle ages (London, 1976), 100.

(٨٥) Canard, Quelques Observations, P. 46.

ومهما يكن من أمر، فيلاحظ أنه منذ منتصف القرن الذي أعقب سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م فصاعدا، بدأ العباسيون تنظيم حدودهم مع البيزنطيين، فاستبدلوا سياسة حرق المحاصيل وتدمير الأراضي الزراعية البيزنطية بإنشاء المعاقل والحصون ووضع الحاميات في مدن الثغور التي تم انشأوها هناك، بل أخذوا يطورون ثغورهم لتكون حصونا تؤدي دورا دفاعيا في المقام الأول لحماية دولتهم ولتكون قواعد تنطلق منها الصوائف والشواتي نحو الأراضي البيزنطية. وكانت المدن التي أنشئت حديثا أو تلك التي أعيد انشاؤها في حاجة إلى توطين سكان وجند فيها. مما حدا بالدولة العباسية إلى توطين فرق من خراسان وغيرها فيها. وكان الجند في تلك الثغور يتلقون أجورا من حاضرة الخلافة، وبالإضافة إلى فرق الجند، استقرت في مدن الحدود أيضا، حشود هائلة من النساك والمجاهدين والمتطوعة والمغامرين. وعلى كل حال، فإننا في محاولتنا لدراسة سكان الثغور وجدنا أن ظروف كل ثغر تختلف عن الآخر، بينما تشابهت بعض الثغور في إقامة عنصر سكاني أو أكثر بها(٨٦). ولقد بلغ عدد الجند حوالي أربعة آلاف في كل ثغر. وكان حوالي نصف هذا العدد جندا جاءوا من خراسان في شمال ايران والتي كانت تمد الدولة العباسية بنسبة كبيرة من جيوشها. بينما جاء النصف الآخر من الأقاليم القريبة مثل الشام والجزيرة، وفي عامي ١٤١ ـ ١٤٢هـ / ٧٥٨ ـ ٧٦٠م تم توطين قوة عسكرية مشتركة في أذنه من الخراسانيين وجند الشام(٨٧). بينما وفد الجند الذين استقروا في طرسوس من خراسان ومن المصيصة وأنطاكية(٨٨).

سياسة توطين وتعمير منطقة الثغور في العهد العباسي :

وإذا اتجهنا قريبا إلى الشرق، وجدنا أن حامية حصن الحدث كانت تتكون من جند من الجزيرة والشام وخراسان(٨٩). كذلك أقام أربعة ألاف رجل في ثغر

---

(٨٦) علية الجنزوري : الثغور، ص ١٤٥.

(٨٧) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٢.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ١٧٤. وانظر :

Canard, Quelques Observations, p.50; Aly Mazhari, Études Islamiques, pp. 57 - 58.

(٨٩) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٩١.

ملطية[٩٠]. وفي العصر الأموي كانت هناك حامية تتولى الحراسة في مناطق الثغور لفترة زمنية محدودة ثم تنتقل إلى مكان آخر. مثل تلك الحامية التي أرسلت من أنطاكية إلى المصيصة في فصل الشتاء ثم عادت مرة آخرى إلى أنطاكية في فصل الربيع[٩١]. ولكن يبدو أن هذه الظاهرة لم تستمر في العصر العباسي، إذ يلاحظ أن الإدارة العباسية قصدت بإرسال حاميات إلى تلك الثغور أن تجعلها تستوطن هناك بصفة دائمة. وبالإضافة إلى القوات النظامية في الثغور، كان هناك عدد من المتطوعين القادمين من مختلف ولايات الخلافة العباسية إلى مناطق الثغور بهدف المرابطة والجهاد في سبيل الله. والواقع أن اولئك المجاهدين والمرابطين في سبيل الله كانوا اشداء في الحرب حتى شهد لهم أعداؤهم بذلك، لأن جهادهم كان خالصا لوجه الله لا يبتغون به أجراً في الدنيا[٩٢]. ومع حلول القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) أصبح هذا التقليد منتظما بشكل كبير. وكان المتطوعون على ما يبدو لا يتلقون أي أجور من الخليفة العباسي، ففي طرسوس مثلا كانوا يسكنون منازل مملوكة لإقليمهم الأصلي الذين جاءوا منه، ينفق عليها من أوقاف اوقفت لهذا الغرض[٩٣]. ويشكل هؤلاء المتطوعون جزءا رئيسيا من حاميات مدن الثغور[٩٤]. وهكذا كانت الغالبية العظمى من سكان هذه المدينة من الغلمان والمتطوعة الذين استوطنوها، من الذين كانوا يفدون عليها من حين لآخر.

كذلك أشار إلى أن أولئك المتطوعين كانوا من بين الذين استوطنوا الهارونية[٩٥]. وكان الجهاد يعد حرفة هؤلاء الوحيدة لذا كانوا يتدربون تدريبا مستمرا على فنون الحرب، وأدوات القتال كي يكونوا على أتم استعداد وقت الحاجة. وقد زودنا المهلبي بصورة موجزة للحياة اليومية للغلمان والمتطوعة في مدينة طرسوس،

---

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٩١.

(٩١) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٦٩.

(٩٢) ابن حوقل : صورة الأرض، ص ١٦٨، علية الجنزوري : الثغور ص ١٥٨.

(٩٣) المصدر نفسه، ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٩٤) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٣ - ١٧٥، وانظر :
Aly Mazhari, Éludes Islamiques, P. 60.

(٩٥) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٥.

وهي صورة نابضة بالحياة تعكس بوضوح كبير حياة هذه الفئات من أهل الثغور[٩٦]. ولكننا لا نعرف على وجه الدقة أعداد هؤلاء المتطوعين في مدن الثغور.

وبالإضافة إلى هؤلاء المتطوعين قام الخلفاء الأمويون والعباسيون بتوطين عدد من العناصر المعروفة باسم الزط في الثغور[٩٧]. وكانت ظاهرة تهجير جماعات الأقليات من منطقة إلى أخرى نادرة في الدولة الإسلامية رغم أنها كانت شائعة في الدولة البيزنطية.

وقبل ان نترك موضوع السكان في منطقة الحدود. تنبغي الإشارة إلى أولئك السكان المحليين الذين عاشوا هناك فالمعروف أنه في حالات عديدة نقل المسلمون السكان الأصليين من مناطق الثغور التي فتحوها، كما أعادوا توطينهم في أقاليم أخرى في قلب الدولة الإسلامية[٩٨]. ويمكن القول بالنسبة لحالة المصيصة أن سكانها الأصليين سمح لهم بالبقاء فيها، بعد أن أعاد المسلمون بناءها. وهناك الفرس والصقالبه والنبط (المسيحيون غير العرب) الذين عاشوا في الضواحي خارج الأسوار منذ العصر الأموي والذين تم نقلهم إلى داخل المدينة في عهد المنصور الذي منحهم قطعا من الأرض كي يقيموا عليها منازلهم. كما وجد الجراجمة الذين اشتهروا باسم المردة Mardaites وهؤلاء استوطنوا مدينة على جبل اللكام (امانوس) في لبنان تعرف بالجرجومة[٩٩] ويعتقد السيد الباز العريني أن تسميتهم بالمردة قد يعني

(٩٦) كتاب المسالك والممالك في

Aly Mazhari, Etudies Islamiques, pp. 60 - 61.

(٩٧) لقد كان الزط من أصل هندي، وقد استقروا في تخوم جنوب العراق، وبعد ثورتهم زمن المأمون، قام بتهجير الكثير منهم الى منطقة الثغور. حيث وطنهم في عين زربة، الا أنهم وقعوا في أسر البيزنطيين بعد ذلك، للمزيد عنهم في العصرين الأموي والعباسي انظر:
البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧١ - ١٨٧، ٣٦٨ - ٣٦٩، الطبري: تاريخ الامم، جـ ٩ ص ٢٠١، عليه الجنزوري: الثغور، ص ١٥٥ - ١٥٧.

(٩٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧٥، وانظر:

Hild, F., Restle, M., «Semaluos Kastron», **JOB,** 23 (1974), PP. 263 - 270.

(٩٩) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٦٣، ياقوت: معجم، جـ ٥ ص ١١، ٢٢، وانظر:
ارشيبالد لويس: القوى البحرية، ص ٩٥.

«بالمتمردين» أو قطاع طرق[100]. وهناك من يرى أن هؤلاء كانوا مسيحيين على المذهب المونوثيليتي، وهذا ما أدى بالدولة البيزنطية إلى أن تنظر اليهم بعدم الارتياح رغم قيامهم على خدمة مصالحها في تلك المنطقة من حدودها مع المسلمين[101]. وقد شكل المردة سياجا أو سورا هناك[102] يصون آسيا الصغرى من الإغارات الإسلامية[103]. ورغم ذلك فقد وافق جستنيان الثاني ـ في المعاهدة التي عقدها مع عبدالملك بن مروان سنة ٦٩هـ / ٦٨٩م ـ على نقلهم إلى الأقاليم الداخلية بالإمبراطورية في مقابل دفع الخليفة الأموي مبلغا من المال وأشياء أخرى للإمبراطور البيزنطي. ويرى فنلاي Finlay، أن نقل المردة من الشام كان من أكبر الأخطاء التي ارتكبها جستنيان الثاني، حيث إن وجودهم أقوياء في جبال لبنان يشكل عائقا صعبا في وجه المسلمين[104].

ونحن نوافق على ما ذهب إليه أحد الباحثين[105] بأنه ترتب على نقل المردة من الشام إلى آسيا الصغرى أن أصبحت حدود الدولتين البيزنطية والإسلامية متاخمة بعضها لبعض وبلا جماعات حاجزة، وقد سهل هذا للمسلمين بأن يجتاحوا آسيا الصغرى بحرية أكبر، كما مكنهم من توسيع رقعة عملياتهم الحربية لتمتد شمالا إلى أعالي الجزيرة وأرمينية دون أن يخشوا أي خطر حتى لو طالت خطوط مواصلاتهم.

على أية حال، ظلت منطقة الثغور، في خلال الفترة التي استقر المسلمون

---

(١٠٠) الدولة البيزنطية : ص ١٥٨.

(١٠١) وسام : العلاقات، ص ٤٣ ـ ٤٥، عبدالقادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية (بيروت، ١٩٦٦)، ص ١٢٢.

(١٠٢) ارشيبالد لويس : القوى البحرية، ص ٩٥.

(١٠٣) عبدالقادر اليوسف : الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٢٢.

(١٠٤) History of Greece (Oxford, 1877), 1, p. 487.

(١٠٥) وسام : العلاقات، ص ٤٥، وللمزيد عن المردة. انظر : البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٦٣ ـ ١٦٦، وانظر أيضا :

Theophanis, Chronographia, I, pp. 554 - 555

وكذلك انظر :

ارشيبالدلويس : القوى البحرية، ص ٩٥ ـ ٩٦، ١٢٢ ـ ١٢٤، وانظر :

Finaly, Greese, 1, P. 387

فيها، منطقة يغلب عليها الطابع العسكري. وهناك وصف كامل للطرسوسي في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري)، وهو وصف يبين أنه رغم وجود التجارة وعدد معين من الحرف المحلية ظلت الجندية والاشتغال في الحرب هي الحرفة الرئيسية للسكان، ومن الطريف حقا أن ثلثي سكان هذه المدينة كانوا من العزاب الذين انشغلوا بالأعمال العسكرية ومن المحتمل أنهم كانوا عابري سبيل، بينما كان ثلث السكان لديهم عائلات(١٠٦).

ولا بد أن الصورة كانت مشابهة في الثغور الأقل ازدهارا التي تقع أكثر تجاه الشرق. لقد كانت تلك الثغور تدين في بقائها إلى موقعها في تلك المنطقة الوعرة من الحدود. ولكن عندما انهمكت الخلافة العباسية في مشاكلها الداخلية. أهمل الخلفاء العباسيون تدعيم الثغور الشامية والجزرية عسكريا وماليا وتركوها لمصيرها. ورغم أن تلك الثغور اعتمدت على امكاناتها المحلية لفترة في الدفاع عن نفسها، إلا أنها لم تكن لتستطيع الاستمرار بهذا الشكل لفترة طويلة. ومع توقف قدوم المتطوعين كان من المحتم أن تسقط أمام أي هجوم بيزنطي منظم ان آجلا أو عاجلا.

اهتمام الخلفاء وكبار القادة بالنشاط الحربي في منطقة الثغور :

وتجدر الاشارة، إلى أن قادة النشاط العسكري الإسلامي والذي انطلق من تلك الثغور كان من بينهم عدد من مشاهير الرجال في الخلافة العباسية. فقد اهتم الخلفاء العباسيون بدءا من المنصور إلى المعتصم، باستثناء العهدين القصيرين للهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م) والأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ / ٨٠٩ - ٨١٣م)، بشئون مناطق الحدود البيزنطية العباسية. وينطبق هذا بوجه خاص على هارون الرشيد الذي كرس جزءا كبيرا من اهتماماته وجهوده من أجل تقوية وتدعيم مركز المسلمين هناك. كذلك كان هناك عدد آخر من أفراد الأسرة العباسية الحاكمة مثل : صالح بن علي وابنه عبدالملك اللذين قاما بدور بارز في منطقة الثغور في العصر العباسي الأول. حيث تولت أسرة صالح بن علي مهمة الاستيلاء على ممتلكات الأمويين في الشام ثم استقرت هناك. وأصبحت بصورة أو بأخرى تتولى

---

(١٠٦) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧١ - ١٧٤، ١٨٩ وما بعدها، وانظر :
Canard, Queslques Observations, P. 49

المصالح الشامية في الخلافة العباسية[١٠٧]. ولقد قام صالح بن علي بدور مهم في إعادة بناء ملطية ومرعش والمصيصة وأذنه، حيث جند أهل الشام لتعمير هذه المدن والاستيطان بها[١٠٨]. كما قام هو وابنه بتعيين حكام محليين في تلك المناطق.[١٠٩]

وإذا تركنا أبناء الأسر الحاكمة جانبا وجدنا أن الشخصيات الرئيسية في الثغور كانت من مشاهير قواد الدولة العباسية مثل الحسن بن قحطبة الذي شارك في قيادة الجيوش العباسية في شرقي خراسان ضد الأمويين. كذلك قام بدور نشط في إعادة بناء ملطية، فكان ينفق من جيبه الخاص على طعام العاملين في بنائها، بل كان يشاركهم بنفسه في حمل الحجارة. وقام هذا القائد بدور مهم في بناء حصن الحدث وطرسوس، وفي مجال الجهاد اشتهر غازيا. واعتبر من الشخصيات التي أشاعت الخوف في نفوس البيزنطيين الذين بلغ من شدة خوفهم منه أن وضعوا صورته في كنائسهم لتحذير الناس منه[١١٠]. ولا شك أن اهتمام الحسن بن قحطبه كان مرجعه إلى تقواه وحماسته من أجل الاسلام. فلم نر من القادة الخراسانيين الآخرين أعمالا كتلك التي قام بها ذلك القائد.

---

(١٠٧) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧١ ـ ١٧٤ ، ١٨٩ وما بعدها، وانظر :
Canard, Quelques Observations, p. 49.

(١٠٨) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، الطبري : تاريخ الامم، جـ ٧، ص ٤٩٧ ، ٥٠٠ وما بعدها.

(١٠٩) عين صالح بن علي جبريل بن يحيى البجلى على المصيصة، ومسلمة بن يحيى البجلى، ومالك بن آدم البجلى على أذنه، والمعروف أن عبدالملك بن صالح عين زيد بن مخلد الفزاري وأبا الفوارس على طرسوس، كما عين محمد بن عبدالله الأنصاري على سميساط. انظر:
البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧١ ـ ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٩٤ .

(١١٠) يذكر الطبري أن الحسن بن قحطبة غزا صائفة سنة ١٦٢هـ / ٧٧٨م في ثلاثين ألفاً من المرتزقة عدا المتطوعين وبلغ «حمة اذروليه» فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم . . . وسمته الروم التنين»، تاريخ الأمم، جـ ٨ ص ١٤٢ . أما بالنسبة لوضع صورته في كنائسهم، فانظر : ياقوت : معجم، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ . والمعروف أن الكنائس في الدولة البيزنطية لا تحتوي الا على صور وأيقونات الرسل والآباء الأول للكنيسة والقديسين وليس العلمانيين، وواضح أن هذه الرواية فيها شيء من المبالغة، وإن كانت تدل ضمنا على مدى الرعب الذي أثاره الحسن بن قحطبة في نفوس البيزنطيين.

كذلك قامت الأسر الشامية المحلية بدور مهم في تلك الأنحاء، وكانت بعض هذه الأسر تحظي بمكانة وأهمية مرموقة في أواخر العصر الأموي واستمرت تحظى بمكانتها السابقة نفسها في عهود العباسيين الأوائل. ومن بين هذه الأسر أسرة زفر بن عاصم بن يزيد الهلالي(١١١). وكانت أسرة معروفة تحظى بنفوذ كبير في إقليم حلب، وظهر عدد من أبنائها كقادة للصوائف والشواتي الإسلامية. وهناك العديد من الأمثلة التي تبين قيام قادة محليين من الشام والجزيرة بالدفاع عن مناطق الحدود بقوات محلية. وقد تشترك قوات من خارج مناطق الثغور وبأعداد كبيرة في الدفاع عن هذه المنطقة إذا قاد الخليفة العباسي بنفسه الحملة ضد البيزنطيين، كما شارك المتطوعون الموجودون أصلا في تلك المناطق مع الخليفة في حملاته تلك(١١٢).

رواتب الجند في منطقة الثغور :

والجدير بالذكر، أن دفع رواتب الجند في منطقة الثغور الإسلامية كان يتم بطريقتين : على شكل أعطيات تدفع لهم، وإقطاعهم قطعا من الأرض. وكان الوضع المعتاد في تلك الفترة أن جنود جيوش الخلافة العباسية حظيت برواتب محددة من قبل الحكومة المركزية. واستمر هذا التقليد مطبقا في منطقة الثغور. ورغم توافر بعض الأرقام الخاصة بالمبالغ التي كانت تدفع لجند بعض الثغور، إلا أنه من الصعب تفسير هذه الأرقام بشكل مرض. ولكن يمكن القول، إن المبلغ الذي كان يدفع للجندي النظامي في منطقة الحدود يتعدى ثمانين درهما في الشهر. والمعروف أن الجندي كان يتقاضى عادة ثمانين درهما في الأماكن الأخرى. ومعنى ذلك أن الجندي النظامي في حاميات ثغور الحدود كان ينال أكثر من نظيره في غير تلك

---

(١١١) بالنسبة لزفر بن عاصم الهلالي : انظر :

الطبري : تاريخ الامم، جـ٨، ص ١٤٧ - ١٤٨، ٢٦٠

(١١٢) عن قيام القادة المحليين بقيادة الصوائف والشواتي، فلدينا المثل الذي ضربه معيوب بن يحيى الكندي، الذي قاد حملات بحرية ضد البيزنطيين : انظر :

اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، جـ٢، ص ٤٣١، الطبري : تاريخ الأمم، جـ٨، ص ٣٢٠،

وعن اشتراك قوات من خارج مناطق الحدود إذا قاد الخليفة بنفسه الحملة. انظر :

Aly Mazhari, Études Islamiqes, pp. 54 - 55

المناطق، حيث إن الظروف كانت صعبة في الثغور، كما كانت الحاجة ماسة لمنح الجنود حوافز كبيرة لضمان ذهابهم إليها ودفاعهم عنها[١١٣].

وبالإضافة إلى الرواتب التي يتقاضونها، كان الجند يمنحون قطائع من الأرض كما سبقت الإشارة. وهذا المصطلح يثير الحيرة إلى حد ما. وبالطبع ليس المقصود به ضيعة زراعية بالمعنى الموجود في الغرب للكلمة، ولا الإقطاع الذي تطور في الدولة الإسلامية بعد ذلك، بل كان عبارة عن قطعة من الأرض تمنح للجندي كملكية كاملة مقابل خدمته العسكرية في تلك المنطقة، وكان يدفع ضريبة العشر عليها،[١١٤] وفي معظم الحالات على ما يبدو، كانت هذه المنح من الأرض صغيرة. ففي عين زربة والحدث كانت هذه القطع من الأرض أماكن للسكن[١١٥]. ولقد ذكر البلاذري أن مساحة القطعة الواحدة من الارض تلك في طرسوس تبلغ ٢٠ × ٢٠ ذراعا[١١٦].

مما يعني أنها كانت كافية لبناء بيت عليها. وفي ملطية يوجد وصف للبيوت التي بناها الجند، إذ كان البيت الواحد يتكون من حجرتين سفليتين وحجرتين علويتين، واسطبل لكل جماعة مكونة ما بين عشرة رجال إلى خمسة عشر رجلا. ويعرف البيت

---

(١١٣) بالنسبة للتفاصيل لما كان يدفع للجند من مخصصات مالية في مناطق الثغور.

انظر :

البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٣ ـ ١٧٥، ١٩١.

(١١٤) وللمزيد من الوضع القانوني لهذه القطائع من الأراضي في تلك الفترة،

انظر :

Ben Shemesh, A., Taxation in Islam (Leiden, 1967 - 1969), Vol. 11, pp. 23, 124 and Vol. 111pp. 73 - 75.

ويذكر البلاذري بوضوح في أحداث سنة ٢٤٣هـ، أن الارض في الثغور كانت تدفع العشر وليس الخراج حتى عهد المتوكل، فتوح البلدان، ص ١٧٦، وطبقا لرواية ابن العديم، كان العشر الذي يجمع في طرسوس منذ زمن المأمون يدفع للمحتاجين من سكانها ولم يصل من ذلك العشر شيء إلى بغداد

Canard, Quelques Observations, P. 42

(١١٥) البلاذري : فتوح البدان، ص ١٧٥، ١٩٤.

(١١٦) المصدر نفسه ص ١٧٤.

«بالعرافة»[١١٧] ومن ناحية أخرى كانت البيوت في المصيصة، كما اشارت بعض المصادر، تشبه الخانات مما يعني أنها نهضت بوظائف تجارية[١١٨] والحالة الوحيدة التي كانت فيها القطعة وسيلة ومورد رزق ظهرت في ملطية، ففي عام ١٤٠هـ /٧٥٧-٧٥٨م منح جند الحامية مزارع فضلا عن رواتبهم[١١٩].

وعلى هذا يمكن القول، إن جند حاميات الثغور كانوا ينالون رواتب من الحكومة مثل بقية جند الجيش العباسي وان كانت هذه الرواتب أكثر قليلا. ولم يعتمد أولئك الجند على ما منح لهم من قطع أرض صغيرة كمورد رزق بل كانت تلك الأرض أماكن للسكنى. ويلاحظ أن عبء هذه المرتبات الكثيرة فضلا عن قلة المردود من الضرائب في مناطق الحدود كان يعني أن الحكومة عليها أن تقدم للثغور دعما ماليا مباشرا وغير مباشر. وكانت كل الأرض في مناطق الثغور تقريبا تجبى منها ضريبة العشر أي أنها كانت تدفع شريحة أقل من شرائح الضرائب. وكان العديد من مناطق الحدود أرض «ايغار» أي أن جباة الضرائب كانوا ممنوعين من دخولها. وفي عام ٢٤٣هـ / ٧٥٧م حاول الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٧ - ٨٦١م) تخفيف العجز الذي تعاني منه خزينة بغداد، وذلك بإلغاء كل المميزات المالية الممنوحة لأهالي مناطق الثغور[١٢٠]، ولكن يبدو أن هذا لم يحل المشكلة، فقدامة بن جعفر[١٢١] الذي كتب في مطلع القرن الرابع الهجري (أوائل القرن العاشر الميلادي) وضح كيف أن العوائد المجباة من الثغور الشامية والجزرية بلغت حوالي نصف تكلفة نفقات الدفاع ومرتبات الجند هناك حيث يذكر أن «ارتفاعها نحو المائة ألف دينار، ينفق في مصالحها وسائر وجوه شأنها... ويحتاج إلى شحنتها من الجند والصعاليك،

---

(١١٧) المصدر نفسه، ص ١٩١، محمد عبدالهادي شعيره: المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية عند جبال طوروس في صدر الدولة العباسية (دار المعارف، ١٩٦٢) ص ١٥٣.

(١١٨) البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٧١.

(١١٩) البلاذري: فتوح البدان، ص ١٩١.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ١٧٦.

(١٢١) الخراج، ص ١٨٦ - ١٨٨، فازيلييف: العرب والروم، ص ٩١، شاكر مصطفى: بني العباس، جـ ٢، ص ٣٣٢، أحمد عبدالكريم سليمان: المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ / التاسع والثاني عشر م، ط ١ (القاهرة، ١٩٨٢)، ص ٣٥.

ورواتب مغازيها، الصوائف والشواتي في البر والبحر في السنة على التقريب مائتي ألف دينار.

على أية حال، لم يقتصر دور مدن الثغور الإسلامية وحصونها على مجرد الدفاع بل كانت تلك المدن قواعد انطلاق للحملات الإسلامية الكبيرة ضد الممتلكات البيزنطية[١٢٢]. وظلت تلك الحملات والإغارات الصغيرة هي الظاهرة المميزة في منطقة الحدود.

الإغارات والحملات الإسلامية في منطقة الثغور :

ولقد كان هناك نوعان من الإغارات : صيفية تسمى صوائف وأخرى شتوية تعرف بالشواتي[١٢٣]. وكانت الصوائف هي الأكثر شيوعا حتى إن الباحث لم يجد سوى مثلين للشواتي سجلتها بعض المصادر خلال القرن الذي أعقب قيام الدولة العباسية سنة (١٣٣ - ٢٣٦هـ / ٧٥٠ - ٨٥٠م)[١٢٤]. ولم يكن البرد القارس الذي ميز الشتاء في آسيا الصغرى هو فقط الذي جعل الإغارات في الشتاء صعبة. ولكن المشكلة الرئيسية كانت تكمن في كيفية توفير علف الدواب خلال هذا الفصل البارد، مما يعني أن المسلمين كانوا إذا ما أغاروا في الشتاء يحملون معهم مؤن طعام

---

(١٢٢) بالنسبة للإغارات الإسلامية ضد الأقاليم البيزنطية. انظر :
الدراسات التي قام بها كل من :
Brooks, E.W., Byzantines and Arabes in the time of the Early Abbasids», **EHR**, 15 (1900), pp. 728 - 747.

وانظر :
فازيلييف : العرب والروم، ص ٩١ - ١١١.

(١٢٣) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٦٩، ١٧٤، ١٨٩، ١٩٢ - ١٩٣.
(١٢٤) وقعت هاتان الإغاراتان الشتويتان في عامي ١٧٨هـ / ٧٩٤ / ٧٩٥م و٢٣١هـ / ٨٤٥ - ٨٤٦م.
انظر :
الطبري : تاريخ الأمم، جـ ٨، ص ٢٦٠، جـ ٩، ص ١٤٤.

لهم ولدوابهم أيضا[١٢٥]

وكانت الصوائف تخرج عادة كل عام إلا إذا كانت هناك اضطرابات في العالم الإسلامي تحول دون خروجها. فمثلا قل خروج الصوائف والشواتي في الفترة من ١٢٦ ـ ١٣٧هـ / ٧٤٤ ـ ٧٥٥م، وهي الفترة الأولى التي شهدت فتنا واضطرابات قبيل سقوط الدولة الأموية، والفترة الأولى من حكم بني العباس، والتي كان فيها العباسيون يثبتون سلطانهم في أقاليم الخلافة الغربية، كذلك كان هناك توقف آخر في تلك الإغارات في الفترة التي اعقبت وفاة هارون الرشيد سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م، وهي الفترة التي شهدت أحداث الفتنة بين الأمين والمأمون. وكانت هناك فترات أخرى في العصر العباسي ازدادت فيها كثافة الإغارات الإسلامية على آسيا الصغرى، وازداد فيها أعداد الجند المشتركين فيها. ومثل هذه الفترات يمكن أن نلاحظها بوضوح في العام الأول من عهد المهدي ١٥٨هـ / ٧٨٥م، وفي السنوات الأخيرة من عهد الرشيد، وقرب نهاية عهد المأمون. وبالنسبة لعهدي الخليفتين: المعتصم، والواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ / ٨٤٢ ـ ٨٤٧م) كانت هناك فترة هدوء نسبي بالمقارنة بما سبق باستثناء الهجوم الكبير الذي قام به المعتصم ضد عمورية سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م. وفي عهد المتوكل سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٧م. ولكن يبدو أن العباسيين كانوا حريصين على اتباع سياسة دفاعية أكثر منها هجومية. وكانت هذه الإغارات الصغيرة تخرج من الثغور الإسلامية وتعبر ممرات جبال طوروس. وفي

---

(١٢٥) قدامة بن جعفر: الخراج، ص١٩٣. ويرى فازيلييف أن إغارات المسلمين على أرض الروم كانت تقع في الربيع وفي الصيف وفي الشتاء «أما غزو الربيع فيبدأ في وسط مايو حين تقوى الخيل وتسمن من مراعي الربيع ويدوم ثلاثين يوما، ويعني هذا إلى نصف يونية، وفي أثناء هذا الغزو تجد الخيول من مراعي الروم غذاء وفيرا هو بمثابة ربيع ثان لها. ثم يستريح العرب ويريحون خيولهم من منتصف يونيو إلى منتصف يوليو. وتبدأ حملة الصيف في منتصف يوليو وتدوم ستين يوما. أما حملة الشتاء فلا تكون إلا في حالات الضرورية القصوى. ولم يكونوا في أي حال يمعنون في التوغل في أرض العدو، وكانوا يحرصون على ألا تدوم أكثر من ٢٠ يوما يحمل فيها الجند على خيولهم المؤنة الضرورية لهذه الأسابيع الثلاثة. ويكون هذا الغزو في آخر فبراير والنصف الأول من مارس»، العرب والروم، ص٩١، وانظر:

شاكر مصطفى: دولة بني العباس، جـ٢ ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧.

الأيام الأولى من العصر العباسي الأول كان درب الحدث الواقع إلى الشمال من مرعش هو أكثر الممرات استخداما. ولكن بعد ذلك حين تطورت الثغور الإسلامية في أقليم قيليقية وخاصة ثغر طرسوس، أصبحت أبواب قيليقية هي الممرات التي فضل المسلمون استخدامها. وتوجد في بعض المصادر إشارة إلى إغارة على درب ملطية(١٢٦)، وأخرى عبر قاليقلا(١٢٧).

ويلاحظ أن المسلمين لم يحاولوا إقامة قواعد لهم وراء جبال طوروس في آسيا الصغرى. فحصون مثل حصن هرقلة Heraclea وقلاع مثل قلعة لؤلؤة Lulu'ah كانت تقع في أيديهم، ويتم تخريبها، ولكن المسلمين لم يستقروا فيها ويحتفظوا بها(١٢٨). وربما كان الاستثناء الوحيد يتمثل في محاولة المأمون تحصين طوانة حين أمر بإنشاء تحصينات ضخمة لها حوالي سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م. ولكن حين اعتلى المعتصم الخلافة في العام التالي أمر بالتخلي عن هذا المشروع، وهدم كل ما تم بناؤه(١٢٩). أما عن وجهة هذه الإغارات الإسلامية، فلا توجد معلومات دقيقة عنها. ولكن من المرجح أن معظم نشاطها اقتصر على أقاليم الحدود.

وإلى جانب الإغارات الصغيرة الحجم والهدف وجدت حملات كبيرة في بعض الأحيان. فمثلا ابتداء من عام ١٥٩هـ / ٧٧٦م وحتى نهاية عهد هارون الرشيد كانت هناك فترات شهدت حملات ضخمة على نطاق واسع اخترقت أقاليم آسيا الصغرى ففي العام المذكور بلغ المسلمون مدينة أنقرة(١٣٠). وفي أواخر عهد المهدي بلغ المسلمون دريليوم Doryleaum(١٣١). وأكثر من هذا استطاعت حملة إسلامية

(١٢٦) يذكر الطبري، أن جعفر بن حنظلة البهراني غزا من درب ملطية، تاريخ الامم، جـ ٧ ص ٥٠٠.

(١٢٧) وقعت هذه الإغارة في سنة ١٦٢هـ / ٧٧٩م، حيث يذكر الطبري، أن يزيد بن أسيد السلمي غزا من باب قاليقلا «فغنم وفتح ثلاثة حصون، وأصاب سبيا كثيرا، وأسرى». تاريخ الأمم، جـ ٨، ص ١٤٣.

(١٢٨) بالنسبة لهرقليا (هرقلة)، فقد سقطت في يد المسلمين سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٦م، انظر: الطبري : تاريخ الأمم، جـ ٨، ص ٣٢٠ - ٣٢٢.

(١٢٩) Michel le Syrien, Chronique, 111, P. 84

(١٣٠) الطبري : تاريخ الأمم، جـ ٨ ص ١١٦.

(١٣١) قاد هذه الصائفة الحسن بن قحطبة الذي «أكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم». الطبري : تاريخ الأمم، جـ ٨، ص ١٤٢ - ١٤٣، فتحي عثمان، الحدود، جـ ٢، ص ١٥٢.

بقيادة هارون الرشيد في عهد والده المهدي أن تصل حتى بحر مرمرة في أقصى الغرب سنة ١٦٥هـ / ٧٨٢م[١٣٢].

وإذا كانت الحملات الكبرى هذه توقفت لبعض الوقت إلا أنها استؤنفت من جديد في عام ١٨١هـ / ٧٩٧م، حين خرجت حملة إسلامية كبيرة بقيادة عبدالملك بن صالح ضد أنقرة. وفي العام التالي خرجت حملة أخرى ضد أفسوس Ephesus في غربي آسيا الصغرى[١٣٣] وبعد ذلك عاد التركيز من جديد على الإغارات المحلية في منطقة الحدود. ويلاحظ أن المسلمين قاموا أحيانا بتخريب المراكز العمرانية الصغيرة والقلاع الواقعة إلى الشمال مباشرة على أبواب قيليقية. كما حدث عند تخريب قلعة هرقلة على يد الخليفة هارون الرشيد سنة ١٩٠هـ / ٨٠٦م[١٣٤]. أما حملات المأمون الواقعة في الفترة من ٢١٥ - ٢١٨هـ / ٨٣٠ - ٨٣٣م فقد كان لها الأهداف نفسها[١٣٥] وكان الاستثناء الوحيد من هذه السياسة حملة المعتصم على عمورية سنة ٢٢٣هـ /٨٣٨م[١٣٦]. كما يلاحظ أنهم توقفوا عن التوغل في عمق آسيا الصغرى. ويميل الباحث إلى الاعتقاد بأن توغل الجيوش الإسلامية في عمق آسيا الصغرى لم يترتب عليه تدمير كبير في كل الأحوال، فالإشارات الخاصة بالإغارات لا تشير إلى سقوط قلاع أو وقوع أسرى بيزنطيين في أيدي المسلمين.

ويلاحظ أن المصادر لا تقدم معلومات كافية عن أعداد الجند المشتركين في مثل تلك الإغارات، وإذا وجدنا بعض المعلومات الخاصة بهذا المجال، فإنها تكون في أغلب الأحوال قليلة. وبما أن الجند كانوا يتلقون أجورهم من حكومة بغداد في

---

(١٣٢) الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٨ ص ١٥٢ - ١٥٣، فتحي عثمان: الحدود، جـ ٢ ص ١٥٣.

(١٣٣) المصدر نفسه، جـ ٨ ص ٢٦٨، المرجع نفسه، جـ ٢ ص ١٥٩.

بعض المصادر العربية أشارت الى مدينة أفسوس (دفسوس) على أنها مدينة أصحاب الكهف.

الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٨ ص ٢٦٩، ياقوت: معجم، جـ ١، ص ٢٣١.

(١٣٤) الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٢، ص ٣٢٠ - ٣٢٢. ويرى فتحي عثمان: أن العباسيين قد وصلوا في هذه الحملة إلى «أقصى ما وصل إليه النفوذ العباسي» الحدود، جـ ٢، ص ١٦٢.

(١٣٥) الطبري: تاريخ الأمم، جـ ص٦٢٣ وما بعدها، فتحي عثمان: الحدود، جـ ٢ ص ١٧٨ - ١٨٢.

(١٣٦) الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٩، ص ٥٧ - ٧٠، فتحي عثمان: الحدود، جـ ٢، ص ٢٠٠ - ٢٠٨.

العصر العباسي الأول، فقد كان من المفروض أن تكون هناك سجلات محفوظة وكان يفترض أن تكون الأرقام الواردة في مثل تلك السجلات صحيحة. لكن يلاحظ أن ما ورد في بعض المصادر العربية عن أعداد الجند كان يغلب عليه طابع المبالغة(١٣٧).

على كل حال، فمن الصعب على الباحث أن يتخيل أن أرقام الجنود المشاركين في الإغارات المعروفة بالصوائف والشواتي قد تجاوز في المرة الواحدة عشرة آلاف جندي. والمرجح أن هذا العدد كان في أغلب الأحوال أقل من ذلك. ولكن يمكن القول إن الخليفة أو أي شخص آخر كبير المنزلة إذا قاد الحملة بنفسه فإن احتمال مشاركة قوات عسكرية كبيرة من خارج مناطق الثغور أمر وارد. هذا بالإضافة إلى انضمام أعداد كبيرة من المتطوعين إلى الحملة. وبالطبع فإن أرقام المشاركين في مثل تلك الحملات ستزداد بشكل كبير، وإن كان يصعب تحديدها بدقة.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو، ما هدف تلك الحملات الكبيرة التي كان يقودها الخلفاء بأنفسهم؟ لم يكن الفتح بالطبع هو الهدف الرئيسي لها، لأن المسلمين كما رأينا لم يقوموا بأية محاولة لاحتلال الأراضي التي استولوا عليها. ومن غير المحتمل أن يكون هدفها الحصول على أسلاب وغنائم! وذلك لأن تلك الحملات كانت تتطلب نفقات جسيمة لإعدادها والقيام بها. والمعروف أن المناطق البيزنطية

---

(١٣٧) أشارت بعض المصادر إلى أن عدد الجند في عهد المهدي قد بلغ ٣٠ ألف جندي سوى المتطوعة، وهذا الرقم ربما كان معقولا ولكن الرقم الخاص بعدد الجند المسلمين في تلك الحملة التي وصلت إلى بحر مرمرة سنة ١٦٥هـ / ٧٨١ ـ ٧٨٢م، والتي تروى المصادر أن عدد الجند المشاركين فيها وصل إلى ٩٥ ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين، من المحتمل أن يكون هذا الرقم مبالغا فيه. وبالنسبة لاشتراك ١٣٥ ألف جندي في الحملة الاسلامية التي وقعت سنة ١٩٠هـ / ٨٠٦م هو أيضا رقم احتمال المبالغة فيه كبير. وذلك لأنه كان أكبر رقم سجلته المصادر العربية للجيش العباسي في هذه الفترة. على حين أن الارقام الخاصة بعدد الجند الذين شاركوا في إغارتين أخريين لم تحققا النجاح المتوقع منهما، تبدو معقولة. وكانت الإغارة الأولى قد انطلقت من طرسوس عام ١٩١هـ / ٨٠٧م، وشارك فيها عشرة آلاف رجل. أما الأخرى فكانت عبارة عن شاتية وقعت عام ٢٣١هـ / ٨٤٥ ـ ٨٤٦م واشترك فيها ستة آلاف رجل. انظر: الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٨، ص ١٤٢، ١٥١ ـ ١٥٣، جـ ٩، ص ١٤٤ ـ ١٤٥، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٥ ص ٦٥، ١٢٢، ١٢٧، ٢٧٥، وانظر: فتحي عثمان: الحدود، جـ ٢ ص ٢١٨.

التي تعرضت لمثل تلك الحملات لم تكن غنية لدرجة أنها وفرت التعويض المناسب لتلك التكاليف الباهظة.

حقيقة كان هناك أسرى من جانب البيزنطيين وكان يمكن فداؤهم أو بيعهم كرقيق، ولكن يجب ألا ننسى أن هناك أسرى من جانب المسلمين أيضا. وكان العرف السائد أن يتم تبادل نسبة كبيرة من هؤلاء الأسرى بين الجانبين[١٣٨].

على أية حال، لا شك في أن تأمين المسلمين القاطنين في مناطق الحدود أو بالقرب منها، كان محط اهتمام كبير من جانب المسؤولين في الدولة الإسلامية. خاصة وأن الإغارات البيزنطية كانت تنال من هيبة ومكانة المسلمين وتدمر ممتلكاتهم. لهذا، فإن الباحث يرى أن الكثير من الإغارات التي قام بها المسلمون حول أبواب قيليقية يمكن اعتبارها محاولات لتدمير القواعد البيزنطية الحقيقية هناك، وإقامة أرض حياد بن الأقاليم البيزنطية وأقاليم دار الاسلام. ولكن الاعتبارات العملية الصرفة لهذا الهدف لا يمكن ان تُبرر المجهود الكبير الذي كرسه المسلمون في الحملات الكبرى ذات النطاق الواسع. ولا تبرر أيضا الأهتمام الكبير الذي أولته معظم المصادر العربية لقتال البيزنطيين. فمثلا إذا نظرنا إلى مؤرخ مثل الطبري، نجده غالبا ما كان يورد أسماء الصوائف في كل عام جنبا إلى جنب مع أسماء قادة الحج، وكذلك فعل العيقوبي. ويرى الدارس أن في هذا دلالة ومعنى ومغزى، فالحملات الإسلامية كانت إلى حد ما لها دور ديني، وكانت مهمة بالنسبة للدعاية لأولى الأمر في دولة الخلافة الذين سعوا إلى تدعيم مركزهم السياسي أيضا أمام رعاياهم. والمعروف أن البيزنطيين هم الأعداء التقليديون للمسلمين، وكان كل من يريد أن يؤكد مركزه لدى المسلمين عليه أن يشن حربا لجهاد البيزنطيين سواء بنفسه أو بمن ينوب عنه. وإذا كان الخليفة المنصور لم يهتم كثيرا بهذا الاتجاه، فإن ابنه المهدي كان يشرف بنفسه على تنظيم الحملات ضد البيزنطيين، كما أرسل ابنه

(١٣٨) للمزيد عن عمليات فداء الأسرى بين العباسيين والبيزنطيين. انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، جـ ٢، ص ٤٨٢، الطبري: تاريخ الأمم، جـ ٦ ص ٤٤٢، جـ ٨، ص ٣١٨، جـ ٩، ص ١٤١ ـ ١٤٤، ٢٠٣، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٥، ص ٢٧٥، شاكر مصطفى: دولة بني العباس، جـ ٢، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥.

هارون مرتين على رأس حملتين للإغارة على الأراضي البيزنطية(١٣٩). وكان هارون الرشيد نفسه أكثر الخلفاء العباسيين نشاطا ضد الإمبراطورية البيزنطية، فقد أشرف على تنظيم دفاعات الثغور، وقاد بنفسه حملات كبيرة ضد البيزنطيين، كما سير ابنه القاسم في واحدة من هذه الحملات ويلاحظ كذلك أن الخليفة المأمون بعد أن أمَّن مركزه ودعم سلطانه، قاد هو الآخر عدة حملات ضد البيزنطيين، وأرسل ابنه العباس على رأس بعضها. وأن أوضح مثل لمثل هذه الحملات العسكرية ضد بيزنطة تلك الحملة التي قادها الخليفة المعتصم ضد عمورية سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م(١٤٠).

حياة السكان المسلمين والبيزنطيين في منطقة الثغور :

مهما يكن من أمر، فإذا كان هذا هو هدف الحملات الكبيرة التي وجهها الخلفاء أو قادوها بأنفسهم، فكيف يكون تفسير هدف الإغارات الصغيرة التي لم تنقطع عن الخروج من الثغور الإسلامية ضد أقاليم الدولة البيزنطية في منطقة الحدود. فبعض المصادر العربية تذكر ببساطة أنه في سنة كذا قاد الصائفة فلان وفلان، ولا توجد لدينا معلومات عن الجهة التي اتجهت اليها هذه الصائفة أو تلك. وفي معظم الأحيان يكون قادة تلك الصوائف من أهل الثغور أنفسهم. ويمكن القول، إن الكثير من هذا النشاط العسكري كان عبارة عن خروج جماعات محدودة العدد والهدف في شكل من أشكال التحرك السكاني ذي الطابع العسكري. فالمسلمون كانوا مستقرين غالبا في المناطق السهلية، بينما كان البيزنطيون يقيمون في المرتفعات الجبلية. والمعروف أن هناك مناطق عديدة في آسيا الصغرى كان السكان المحليون سواء كانوا بيزنطيين أو أتراكا (بعد ذلك) يميلون إلى تحريك قطعان ماشيتهم من السهول إلى المرتفعات سعيا وراء المراعي عندما تشتد الحرارة في

---

(١٣٩) البلاذري : فتوح البلدان، ص ١٧٢ - ١٧٥، شاكر مصطفى : دولة بني العباس، جـ ٢، ص ٣٣٣.

(١٤٠) عن حملة المعتصم على عمورية انظر :

المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت، ١٩٦٦)، جـ ٢، ص ٣٧٠ - ٣٧١، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ ٥، ص ٢٤٦ - ٢٤٩.

السهول، وتجف الأعشاب فيها في فصل الصيف[١٤١].

وحتى حين كان سكان الثغور والجبال ينتمون إلى الجنس نفسه ويعتنقون الدين نفسه، كان التوتر غالبا ما يشتعل بينهم، أما إذا ما كانوا منقسمين بين بيزنطيين ومسلمين فبالطبع كان الصراع بينهما حتميا. والدليل على ذلك نجده فيما كتبه قدامة بن جعفر، حين ذكر أن المسلمين بعد أن يقوموا بتسمين قطعانهم في أراضيهم في أوائل الصيف يتحركون بقطعانهم بعد ذلك إلى المرتفعات التي يسكنها الروم وذلك سعيا وراء المراعي التي لا تزال نضرة هناك. حيث يمكن لقطعانهم أن تتمتع بربيع آخر[١٤٢]. وبطبيعة الحال يصاحب هذه القطعان رجال مسلحون لحمايتها، مما يؤدي إلى اشتباكهم مع البيزنطيين القاطنين هناك. ويُصوِّرْ هذا الاشتباك المحدود في بعض المصادر العربية على أنه حرب ضد الدولة البيزنطية.

الخاتمة :

إن صورة الحدود الإسلامية كما تظهر في مادة بعض المصادر المتناثرة، هي صورة لعدة مجتمعات مدنية في سهول وأدوية الأنهار الواقعة إلى الجنوب الشرقي من آسيا الصغرى، وهي التي أطلقت عليها هذه المصادر اسم الثغور، وكان قد أعيد تأسيسها في نصف القرن الأول الذي أعقب قيام الدولة العباسية في شكل مدن حصينة وقلاع تتولى الدفاع عنها حاميات مكونة من جند الشام والجزيرة وخراسان تتلقى رواتب ثابتة. ورغم أن العدد الكلي للجنود المستقرين في تلك الثغور ثلاثين ألف جندي[١٤٣]. إلا أن عددهم كان يفوق هذا الرقم بكثير حين نضيف اليهم أعداد المتطوعين الذين قاموا بدور نشط وفعال في حرب الحدود وخاصة تلك التي نشبت في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي). كذلك كانت الثغور تعتبر قواعد انطلاق لإغارات هجومية ضد الحصون البيزنطية في الأقليم الجبلي الذي يقع إلى الشمال

---

(١٤١) بالنسبة لحركة السكان في آسيا الصغرى. انظر :

Xavier de plannhol, De La plaine paphlienne aux lacs pisidiens (Paris, 1958), pp. 186 - 299.

(١٤٢) قدامة بن جعفر : الخراج، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(١٤٣) بالنسبة لأعداد الجند في تلك الثغور، انظر : هامش ١٣٧ من البحث.

منها. وفي بعض الأحيان كانت هذه الإغارات الهجومية تتطور وتأخذ شكل حملات إسلامية ضخمة ينظمها ويقودها الخلفاء أنفسهم أو من ينوب عنهم من كبار رجال الخلافة. ولكن في أغلب الأحوال كانت هذه الإغارات يتولى قيادتها قادة محليون من مناطق الثغور نفسها سعيا وراء تحقيق أهداف محلية.

ونخرج من هذه الدراسة بأن مناطق الحدود الإسلامية البيزنطية كانت مختلفة بلا شك في تكوينها وخصائصها عن بقية كل من الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية الواقعة خلفها غير المعرضة للخطر مثلها. ورغم ذلك فإن الباحث لا يعرف سوى القليل عن طبيعة الحياة في تلك المناطق. فالمصادر المدونة لا تقدم الكثير في هذه الناحية، ولا شك في أن الأمر يحتاج إلى دراسة أثرية تفصيلية لمناطق الحدود ربما تساعد على الخروج بانطباع أوضح عن طبيعة الحياة والمجتمعات السكانية على جانبي خط الحدود الذي يفصل بين العالمين الإسلامي والبيزنطي.

والله ولي النعمة والتوفيق

أولاً : المصادر العربية

- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٤م) أبو الحسن علي بن أبي الكرم، الملقب عزالدين : «الكامل في التاريخ»، ٩ أجزاء، ط ٢ (بيروت، ١٩٦٧).
- ابن حوقل (عاش في القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) أبو القاسم النصيبي : «كتاب صورة الأرض» (بيروت، ١٩٧٩).
- ابن خرداذبه (ت حوالي ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله : «كتاب المسالك والممالك» (ليدن، ١٨٨٩).
- ابن الفقيه (مات في أواخر القرن الثالث الهجري / أواخر القرن التاسع الميلادي) أبو بكر احمد بن محمد الهمذاني : «كتاب البلدان» (ليدن، ١٨٨٤).
- الإدريسي (عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الشريف الإدريسي : «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» (روما، ١٩٦٥).
- الاصطخري (ت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي : «مسالك الممالك» (ليدن، ١٩٢٧).
- البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي : «فتوح البلدان» (بيروت، ١٩٧٨).
- الجاحظ (عاش ما بين نصفي القرن الثاني والثالث للهجرة / أواسط القرنين الثامن والتاسع الميلاديين) عمرو بن بحر الجاحظ : «كتاب التبصر بالتجارة» - تحقيق حسني عبدالوهاب (تونس، ١٩٦٦).
- الدينوري (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري : «الأخبار الطوال» (القاهرة، ١٩٥٩).
- الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) أبو جعفر محمد بن جرير : «تاريخ الأمم والملوك»، ١٠ أجزاء، ط ٤ (القاهرة، ١٩٦٧).
- الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ / ١٤١٤م) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي «القاموس المحيط» (بيروت، بدون تاريخ).

- قدامة بن جعفر (ت حوالي ٣٣٧هـ / ٩٤٨م) أبو الفرج قدامه بن جعفر بن قدامه بن زياد : «الخراج وصناعة الكتابة» (بغداد، ١٩٨١).
- القزويني (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) زكريا بن محمد بن محمود : «آثار البلاد وأخبار العباد» (بيروت، ١٩٦٩).
- المسعودي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م) أبو الحسن علي بن الحسن بن علي :
  - «التنبية والإشراف (ليدن، ١٨٩٣).
  - «مروج الذهب ومعادن الجوهر» (بيروت، ١٩٦٦).
- مسكويه (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) أبو على أحمد بن محمد : «تجارب الأمم» جـ ٢ (القاهرة، ١٩١٤).
- ياقوت الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨م) أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الملقب شهاب الدين :
معجم البلدان (بيروت، بدون تاريخ).
- اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف بابن واضح :
  - «تاريخ اليعقوبي» (بيروت، ١٩٦٠).
  - «كتاب البلدان» ـ ملحق في المجلد السابع من كتاب الأعلاق النفسية، لابن رسته (ليدن، ١٨٩١).

ثانياً : المراجع العربية والمعربة

- ابراهيم أحمد العدوي :
١ - «الدولة الإسلامية وإمبراطورية الروم»، ط ١ (القاهرة، ١٩٥١)، ط ٢ (القاهرة، ١٩٥٨).
- أحمد عبدالكريم سليمان :
«المسلمون والبيزنطيون في شرقي البحر المتوسط فيما بين القرنين الثالث والسادس هـ / التاسع والثاني عشر م» . ط ١ (القاهرة، ١٩٨٢).
- أرشيبالد. ر. لويس :

«القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (٥٠٠ ـ ١١٠٠م)».
(ترجمة : أحمد محمد عيسى، ومراجعة وتقديم : محمد شفيق غربال (القاهرة، ١٩٦٠).
- أسد رستم :
«الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب»، جزءان، ط ١ (بيروت، ١٩٥٦).
- حسن ابراهيم حسن :
«تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (العصر العباسي الأول)»، ط ١٠. (القاهرة، ١٩٨٣).
- حسن محمود وأحمد الشريف :
«العالم الإسلامي في العصر العباسي»، ط ٢. (القاهرة، ١٩٧٣).
- حسنين محمد ربيع :
«دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية» (القاهرة، ١٩٨٣).
- حسين مؤنس :
«أطلس تاريخ الإسلام»، ط ١ (القاهرة، ١٩٨٧).
- السيد الباز العريني : «الدولة البيزنطية ٣٢٣ ـ ١٠٨١م» (القاهرة، ١٩٦٥).
- السيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادي :
«تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط (البحرية الإسلامية في مصر والشام)» (الإسكندرية، ١٩٨٣).
- السيد عبدالعزيز سالم :
«دراسات في تاريخ العرب (٣) العصر العباسي الأول» (الإسكندرية، ١٩٧٧).
- شاكر مصطفى : «دولة بني العباس»، ط ١ (الكويت، ١٩٧٣).
- عبدالرحمن محمد العبد الغني :
«ارمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين (٦٥٣ - ١٠٦٤م / ٣٣ ـ ٤٥٧هـ)»، ط ١ (الكويت، ١٩٨٩).
- عبدالعزيز الدوري ؛
«العصر العباسي الأول» (بغداد، ١٩٤٥).

- عبدالقادر أحمد اليوسف :
«الإمبراطورية البيزنطية» (بيروت، ١٩٦٦).
- علية عبدالسميع الجنزوري :
«الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى» (القاهرة، ١٩٧٩).
- فازيلييف (أ . أ) :
«العرب والروم»، (ترجمة : محمد عبدالهادي شعيره) (القاهرة، بدون تاريخ).
- فتحي عثمان :
«الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري»، ٣ مجلدات (القاهرة، ١٩٦٦).
- فيليب حتى :
«تاريخ سورية ولبنان وفلسطين»، (ترجمة : كمال اليازجى) (بيروت، ١٩٧٢).
- كي لسترانج :
«بلدان الخلافة الشرقية» (نقله الى العربية وأضاف اليه تعليقات بلدانية وتاريخية ووضع فهارسة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد، ط ٢ (بيروت، ١٩٨٥).
- محمد حلمي محمد أحمد :
«الخلافة والدولة في العصر العباسي»، ط ٢ (القاهرة، ١٩٧٢).
- محمد الخضري :
«محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة الأموية». (القاهرة، ١٩٦٩).
- محمد ضياء الدين الريس :
«عبدالملك بن مروان والدولة الأموية»، ط ٢ (القاهرة، ١٩٦٩).
- محمد جمال الدين سرور :
«الحياة السياسية في الدولة العربية»، ط ٦ (القاهرة، ١٩٧٩).
- محمد عبدالهادي شعيره :
«المرابطون في الثغور البرية العربية الرومية عند جبال طوروس في صدر الدولة العباسية ـ مقال في كتاب الى طه حسين في عيد ميلاده السبعين» ـ (دار المعارف، ١٩٦٢).

- هارثمان (و . م) وباراكلاف (ج) : «الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى» - (ترجمة جوزيف نسيم) - ط ٣ (الاسكندرية، ١٩٨٤).
- وسام عبدالعزيز فرج :
«دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية، ١٩٨٢).
«العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادي» (الإسكندرية، ١٩٨١).
- يوليوس فلهوزن :
«تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة العربية» - ترجمة : (عبدالهادي أبو ريده وحسين مؤنس) (القاهرة، ١٩٦٨).

ثالثا : المصادر الأجنبية

Cinstatine Porhyrogenitus,

- De Administrando Imperio, ed. Gy. Moravesik, trans. R. J. H. Jenkens (Washington, D. C., 1967), 2 Vols.
- De Cerimoniis Aulae Byzantinae, ed. I Reiske (Bonn, 1829 - 1830). 2 Vols.
- De Thematibus., ed. with Commentary, A. Pertusi (Vatican City, 1952).
- De Vel Bell. De Velitatione Bellica, In : Leonis Diaconi, Historiae, ed. Hase (Bonn, 1828).
- Hudud AL - Alam, The Regions of the world, tr. V. Minosrsky (Oxford, 1937).
- John of Nikiu, The Chronicle of John (C. 690 A.D.) Coptic Bishop of Nikiu, tr. R.h. Charles (London, 1916).
- Liber Pontificalis ed. L. Duchesne (Paris, 1886), 3 Vols.
- Michel Le Syrien, Chronique de Michel le Syrien, ed. J. B. Chabot (Paris, 1899 - 1905), 3 Vols.
- Sebeos, Histoire d'Heraclius, tr. F.Macle (Paris, 1904).

- Strabo, The Geography of Strabo, tr.H.L. Jones (London, 1931 - 1949).
- Theophanes Chronographia, ed. C.De Boor (Leipzig, 1883 - 1885).
- Theophanes Continuatus, Ioannes Cameniata, Symeon Magister, Georgius Monachus Continuatus, ed. I. Bekker (Bonne, 1838).

رابعا : المراجع الأجنبية

- Ahrwiler, H.,
  «L'Asie Mineure et les invasions arabes», **R H,** 227 (1962), pp.1 - 33.
  «Recherches sur L'administrations de L'mpire byzantin au Ix²e – x1²e siecles» **B C H,** 84(1960), PP. 1 - 109.
- Aly. Mazhari, **Études** Islmiques (Paris, 1975).
- Ashtor, E. A social and Economic History of the near East in the Middle ages (London, 1976).
- Baynes, N.H., Byzantine Studies and Other Essays (London, 1955).
- Ben Shemesh, A., Taxation in Islam (Leiden, 1967 - 1969), 2 Vols.
- Braudel, F., The Mediterranean, te.S. Reynolds (London, 1972), 2 Vols.
- Brooks, E. W.,
- «Byzantines and Arabes in the time of the early Abbasids», **EHR,** 15 (1900), PP. 728 - 747.
- «The Campaign of 716 - 718, from Arabic Sources», **JHS,** 19 (1899), pp. 19-31
- Bury, J.B., «Mutasim's March through Cappadocia in A.D. 838», **JHS,** 29 (1909), 120 ff».
- Cambridge Medieval History, IV : The Byzantine Empire,

part I : Byzantium and its Neighbour, Ed. by J.M. Hussey (Cabridge, 1966, 1967).
- Canard, M., Quelques Observations sur l'intraduction georgraphique de la Bughyat at Talab de Kamal ad - din Ibn Al - «Adim d'Alep», **AIEO,** XV (1957), PP. 41 - 53.
- Cheira, M., La Lutte entre Arabes et Byzantins : La Conquete et L'organisation des frontieres aux VII[2]e et VIII[2]e siecles (Alexandria, 1947).
- Cipolla, C.M., Money Prices and Civilization, in the Mediterranean world (Princeton, 1959).
- Claude, D., Die Byzantinische Stadt im 6 Johrhundert (Munchen, 1969).
- Diehl, C., «L' Origine du regime des Themes dans L' Empire byzantin», **EB,** I (Paris, 1905).
- Dolger, F., «Zur Albeitung des byzantinischen Verwaltungsterminis, **H,** IV (1955).
- Finlay, G., History of Greece (Oxford, 1877), 7 vols.
- Foss, C., «Late Antique and Byzantine Ankera», **DOP,** 31 (1977); pp. 29 - 87.
- Geraed. W., La Vie quotidieme a Byzance (Paris, 1966), pp. 267 - 268.
- Halden, J.F., «Some Remarks on the Background to the Iconoclast Controversy», **BS,** 38 (1971), pp. 161 - 184.
- Hild, F., Das Byzantinesche Strassensytem in Kappadakien (Wien, 1977).
- Hild, F. Restle, M., «Semaluos Kastron», **JOB,** 23 (1974),
- Honigmann E., Die Ostgrenze des byzantinischen Reiches Von 363 bis 1701 (Bruxelles, 1935).
- Jenkins, R., Byzantium : The Imperial Centuries A.D. 610 - 1071 (London and New York, 1966).
- Jones, A.H.M.
The Greek City From Alexander to Justinian (Oxford, 1940).

The Later Roman Empire (Oxford, 1964), 3Vols.
- Kaether J., De imperio Constanini III (641 - 668) (Leipzig, 1907).
- Karayanno pulos, J. «Contribution au Probleme des themes byzantins», **HC,** Series 2, vol. 10 (1956).
- Kirsten, E., «Die byzantinische Stadt», Berichte Zum XI Internationalen Byzantinisten - Kingress (Munchen, 1958).
- Lilie, R., Die byzantinishe Reaktion auf die Ausbereitung der Araber (Munchen, 1976).
- Lombard, M., L'islam dans Sa premiere grandeur VIII - XI Siecles (Paris, 1971).
- Lopez, R.S., «The Role of trade in the Economic Re - adustment of Byzantium, in the Seventh Century», **DOP,** 13 (1959;, pp. 69 - 85.
- Manandian, H., «Les Invasions Arabes en Armenie», (Notes Chronologiques), tr. H. Berberian, B, 18 (1944 - 1949) pp. 177 - 183.
- Oikonomides, N., Les Listes de Préséance Byzantines des IX^{e} – X^{e} siécles (Paris, 1972).
- Ostrogorsiky, G.,
  «Byzantine Cities», DOP, 113, 13 (1959), PP. 47 - 66.
- Historty of the Byzantine State, tr. j. Hussey (Oxford, 1968).
- Pertusi, A., «La formation dea thèmes byzantines», Berichte Zum XI. Internationalen Byzantinisten - Kongress Munchen, 1958 (Munich, 1958) (Beitrage 1).
- Ramsay, W.M., The., The Historical Geography of Asia Minor (London, 1890).
- Shaban, M.A., ISlamic History, A New Interpretation, Vol. 11 : A.D. 750 - 1055 (A.H. 132 - 448) (Cambridge, 1976).
- Teall, J.L., «The Grain supply of the Byzantine Empire», **DOP,** 13 (1959), pp. 87 - 139.